

شرح ثلاثة الأصول

لفضيلة الشayخ العالمة
محمد بن صالح العثيمين

غفر الله له ولوالديه ولمسليمن

إعداد
الفقيير إلى الله تعالى
محمد بن ناصر بن إبراهيم الشيمان

دار الشريعة للنشر

شِرْكَةُ ثَلَاثَةِ الْأَصْوَلِ

لِفَضْيَلَةِ الشَّيْخِ
مُحَمَّدِ بْنِ صَالِحِ الْعُثْمَانِ
رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى

إِعْدَاد
الْفَقِيرِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى
فَهْدِ بْنِ نَاصِرِ بْنِ إِبْرَاهِيمِ الْيَمَانِ

دار الثريا للنشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف
إلا من أراد طبعه لتوزيعه مجاناً بعد مراجعة
مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية

الملكة العربية السعودية - عنيزة
ص . ب ١٩٢٩ هـ ٠٦٣٦٤٢١٠٧ - ٠٦٣٦٤٢٠٠٩

WWW.binothaimeen.com
info@binothaimeen.com

الطبعة الثالثة

١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

(٤) دار الثريا للنشر والتوزيع ، ١٤١٧ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العثيمين ، محمد بن صالح

شرح ثلاثة الأصول / اعداد فهد ناصر السليمان .- الرياض .

ص ٤ ... سم

ردمك ٩٠٤٠-٩٩٦٠

١ - العقيدة الإسلامية ٢ - التوحيد ٣ - الصلاة ٤ - الالوهية

أ - السليمان ، فهد ناصر (معد) ب - العنوان

١٧/٠٠٣١

ديبو ٢٤٠

رقم الإيداع : ١٧/٠٠٣١

ردمك : ٩٩٦٠-٩٠٤٠-٩١

الملكة العربية السعودية

فاكس ٤٠٢٢٦١٥ ص.ب. ٩٤٣٨ رب. ١١٤١٣ الرياض

بريد إلكتروني darthurayya@Hotmail.com



نسمة لـ زعاف

لقد أذنت للشيخ فهد بن ناصر السليمان أن يطبع ما يرى طبعه معالقاتواى
والرسائل الصادرة من مؤوصيه بالعنایة بالطبع وأن لا يحتفل بجعفر
الطبع من أراد أن يطبعها يوزعها مجاناً. قال ذلك كتابه من الصالحة العظيم

١٤١٦ / ١٠ / ١١

الشيخ

ترجمة مؤلف كتاب (ثلاثة الأصول)

شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب

-رحمه الله تعالى-

* نسبة:

هو شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد بن محمد بن مشرف بن عمر من بنى تميم.

* مولده:

وُلد هذا العالم في بلدة العينية سنة ١١١٥ هجرية في بيت علم وشرف ودين، فأبوه عالم كبير، وجده سليمان عالم نجد في زمانه.

* نشأته:

حفظ القرآن قبل بلوغ عشر سنين، ودرس في الفقه حتى نال حظاً وافراً وكان موضع الاعجاب من والده لقوته حفظه، وكان كثير المطالعة في كتب التفاسير والحديث، وجد في طلب العلم ليلاً ونهاراً، فكان يحفظ المتون العلمية في شتى الفنون، ورحل في طلب العلم في ضواحي نجد وفي مكة وقرأ على علمائها، ثم رحل إلى المدينة النبوية فقرأ على علمائها، ومنهم العلامة الشيخ عبدالله بن إبراهيم الشمري، كما قرأ على ابنه الفرضي الشهير إبراهيم الشمري مؤلف العذب الفاضل في شرح ألفية الفرائض وعرفه بالمحذث الشهير محمد حياة السندي فقرأ عليه في علم

ال الحديث ورجاله وأجازه بالأمهات . وكان الشيخ محمد بن عبدالوهاب - رحمة الله تعالى - قد وحبه الله فهماً ثاقباً وذكاً مفرطاً وأكب على المطالعة والبحث ، والتأليف وكان يثبت ما يمر عليه من الفوائد أثناء القراءة والبحث وكان لا يسام من الكتابة وقد خط كتاباً كثيرة من مؤلفات ابن تيمية وابن القیم - رحمهما الله - ولا تزال بعض المخطوطات الثمينة بقلمه السیال موجودة بالمتاحف .

ولما توفي والده - سنة ١١٥٣ هـ - أخذ يعلن جهراً بالدعوة السلفية إلى توحيد الله وانكار المنكر ويهاجم المبتدةة أهل الأوثان والأصنام ، وقد شدّ أزره الولاة من آل سعود وقويت شوكته وذاع خبره .

* مؤلفاته:

وله - رحمة الله تعالى - مؤلفات نافعة نذكر منها :

- ١ - كتاب التوحيد.
- ٢ - كتاب «كشف الشبهات» .
- ٣ - كتاب «الكبير» .
- ٤ - كتاب «ثلاثة الأصول» .
- ٥ - كتاب «ختصر الإنصاف والشرح الكبير» .
- ٦ - كتاب «ختصر زاد المعاد» .
- ٧ - له فتاوى ورسائل جمعت باسم مجموعة مؤلفات الإمام محمد بن عبد الوهاب تحت اشراف جامعة الإمام محمد بن سعود .

* وفاته:

توفي رحمه الله تعالى عام ١٢٠٦هـ فرحمه الله رحمة واسعة وجزاه عن الإسلام وال المسلمين خير الجزاء إنه سميع مجيب والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بِقَلْمَنْ

الْفَقِيرُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى

فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان

ترجمة الشارح
فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين
-رحمه الله تعالى-

* نسبة:

هو أبو عبدالله محمد بن صالح بن عثيمين الوهبي التميمي.

* مولده:

ولد في مدينة عنزة في السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك
عام ١٣٤٧ هـ.

* نشأته:

قرأ القرآن الكريم على جده من جهة أمه عبد الرحمن بن سليمان آل دامغ رحمه الله فحفظه، ثم اتجه إلى طلب العلم فتعلم الخط والحساب وبعض فنون الآداب، وكان الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله قد أقام اثنين من طلبة العلم عنده ليدرسوا الطلبة الصغار أحدهما الشيخ علي الصالحي، والثاني الشيخ محمد بن عبدالعزيز المطوع رحمه الله، قرأ عليه مختصر العقيدة الواسطية للشيخ عبد الرحمن السعدي، ومنهاج السالكين في الفقه للشيخ عبد الرحمن أيضاً، والأجرامية والألفية.

وقرأ على الشيخ عبد الرحمن بن علي بن عودان في الفرائض والفقه.

• وقرأ على الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي الذي يعتبر شيخه الأول حيث لازمه وقرأ عليه التوحيد والتفسير والحديث والفقه وأصول الفقه

والفرائض ومصطلح الحديث وال نحو والصرف .

وكانت لفضيلة الشيخ منزلة عظيمة عند شيخه رحمه الله فعندما انتقل والد الشيخ محمد - رحمه الله - إلى الرياض إبان أول تطوره رغب في أن يتقل معه ولده - الشيخ رحمه الله - فكتب له الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله «إن هذا لا يمكن نريد محمداً أن يمكث هنا حتى يستفيد».

ويقول فضيلة الشيخ رحمة الله «إنني تأثرت به كثيراً في طريقة التدريس وعرض العلم وتقريره للطلبة بالأمثلة والمعاني ، وكذلك أيضاً تأثرت به من ناحية الأخلاق لأن الشيخ عبد الرحمن رحمه الله كان على جانب كبير من الأخلاق الفاضلة ، وكان رحمه الله على قدر كبير في العلم والعبادة ، وكان يمازح الصغير ، ويضحك إلى الكبير ، وهو من أحسن من رأيت أخلاقاً».

- قرأ على سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز حيث يعتبر شيخه الثاني ، فابتداً عليه قراءة صحيح البخاري وبعض رسائل شيخ الإسلام ابن تيمية وبعض الكتب الفقهية .

يقول الشيخ «تأثرت بالشيخ عبدالعزيز بن باز حفظه الله من جهة العناية بالحديث ، وتأثرت به من جهة الأخلاق أيضاً وبسط نفسه للناس» .

- في عام ١٣٧١ هـ جلس للتدريس في الجامع ، ولما فتحت المعاهد العلمية في الرياض التحق بها عام ١٣٧٢ هـ ، يقول الشيخ رحمه الله :

«دخلت المعهد العلمي من السنة الثانية ، والتحقت به بمشورة من الشيخ علي الصالحي ، وبعد أن استأذنت من الشيخ عبد الرحمن السعدي عليه رحمة الله ، وكان المعهد العلمي في ذلك الوقت ينقسم إلى قسمين خاص وعام ، فكنت في القسم الخاص ، وكان في ذلك الوقت أيضاً من

شاء أن يقفز - كما يعبرون - بمعنى أنه يدرس السنة المستقبلة له في أثناء الإجازة ثم يختبرها في أول العام الثاني ، فإذا نجح انتقل إلى السنة التي بعدها وبهذا اختصرت الزمن» اهـ.

- وبعد سنتين تخرج وعين مدرساً في معهد عنيزة العلمي مع موافقة الدراسة اتساباً في كلية الشريعة ومواصلة طلب العلم على يد الشيخ عبد الرحمن السعدي .
- ولما توفي فضيلة الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله تولى إماماة الجامع الكبير بعنيزة والتدريس في مكتبة عنيزة الوطنية بالإضافة إلى التدريس في المعهد العلمي ثم انتقل إلى التدريس في كلية الشريعة وأصول الدين بفرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالقصيم حتى الآن ، بالإضافة إلى عضوية هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية ، ولفضيلة الشيخ رحمه الله نشاط كبير في الدعوة إلى الله عز وجل وتبصير الدعاة في كل مكان وله جهود مشكورة في هذا المجال .
- واجدر بالذكر أن سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله قد عرض بل ألح على فضيلة الشيخ في تولي القضاء ، بل أصدر قراره بتعيينه حفظه الله تعالى رئيساً للمحكمة الشرعية بالاحساء فطلب منه الإعفاء ، وبعد مراجعات واتصال شخصي من فضيلة الشيخ سمح رحمه الله تعالى بإعفائه من منصب القضاء .

* مؤلفاته:

له رحمة الله تعالى مؤلفات كثيرة تبلغ ٤٠ ما بين كتاب ورسالة وسوف تجمع إن شاء الله تعالى في مجموع الفتاوى والرسائل .

.....
بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ابتدأ المؤلف رحمه الله كتابه بالبسملة اقتداءً بكتاب الله عز وجل فإنه مبدوء بالبسملة، واتباعاً لحديث «كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله فهو أبتر». (١) واقتداء بالرسول ﷺ، فإنه يبدأ كتبه بالبسملة.

الجار وال مجرور متعلق بمحذوف فعل مؤخر مناسب للمقام تقديره بسم الله أكتب أو أصنف.

وقدرناه فعلاً لأن الأصل في العمل الأفعال.

وقدرناه مؤخراً لفائدة :

الأولى: التبرك بالبداءة باسم الله سبحانه وتعالى .

الثانية: افاده الحصر لأن تقديم المتعلق يفيد الحصر .

وقدرناه مناسباً لأنه أدل على المراد فلو قلنا مثلاً عندما نريد أن نقرأ كتاباً باسم الله نبتدئ ما يدري بماذا نبتدئ ، لكن باسم الله أقرأ يكون أدل على المراد الذي أبتدئ به .

(٢) الله علم على الباري جل وعلا وهو الاسم الذي تتبعه جميع الأسماء حتى إنه في قوله تعالى : ﴿كَتَبْ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلْمَنَتِ إِلَى الْوَرِيَادَنِ رَبِّهِمْ إِلَى صَرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ * اللَّهُ أَلَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ

(١) عزه السيوطي في الجامع الصغير «الدرهاوي» ٤/١٤٧ ، وأخرجه الخطيب في «الجامع» ٢/٦٩ . وقد أخرج الحديث بطرق كثيرة وألفاظ متعددة ، وقد سئل شيخنا العلامة محمد العثيمين - حفظه الله ورعاه - عن هذا الحديث فقال : «هذا الحديث اختلف العلماء في صحته فمن أهل العلم من صححه واعتمده كالنحوبي ، ومنهم من ضعفه . ولكن تلقى العلماء هذا الحديث بالقبول ووضعهم ذلك الحديث في كتبهم يدل على أن له أصلاً...» . انتهى من كتاب (العلم) لفضيلة شيخنا - يسر الله نشره - .

الرحمن^(١) الرحيم^(٢) اعلم^(٣)

وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢١﴾ [سورة إبراهيم، الآية: ٢١] لا نقول إن لفظ الجhalala «الله» صفة بل نقول هي عطف بيان لثلا يكون لفظ الجhalala تابعاً تبعية النعت للمنعوت.

(١) الرحمن اسم من الأسماء المختصة بالله عز وجل لا يطلق على غيره والرحمن معناه المتتصف بالرحمة الواسعة.

(٢) الرحيم يطلق على الله عز وجل وعلى غيره، ومعناه ذو الرحمة الواسعة فالرحمن ذو الرحمـة الواسـعة، والرحـيم ذو الرحـمة الواسـعة فإذا جـمـعا صـارـ المرـادـ بالـرحـيمـ المـوـصـلـ رـحـمـتـهـ إـلـىـ مـنـ يـشـاءـ وـيـرـحـمـ مـنـ يـشـاءـ وـإـلـيـهـ تـقـلـبـونـ ﴿٢١﴾ [سورة العنكبوت، الآية: ٢١].

(٣) العلم هو إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكاً جازماً.

ومراتب الإدراك ست:

الأولى: العلم وهو إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكاً جازماً.

الثانية: الجهل البسيط وهو عدم الإدراك بالكلية.

الثالثة: الجهل المركب وهو إدراك الشيء على وجه يخالف ما هو عليه.

الرابعة: الوهم وهو إدراك الشيء مع احتمال ضدراجح.

الخامسة: الشك وهو إدراك الشيء مع احتمال مساواه.

السادسة: الظن وهو إدراك الشيء مع احتمال ضد مرجوح.

والعلم ينقسم إلى قسمين: ضروري ونظري.

رَحِمَكَ اللَّهُ^(١) أَنَّهُ يُحِبُّ عَلَيْنَا تَعْلَمُ أَرْبَعَ مَسَائلَ^(٢)؛ الْأُولَى : الْعِلْمُ .
وَهُوَ : مَعْرِفَةُ اللَّهِ^(٣)

فالضروري ما يكون إدراك المعلوم فيه ضرورياً بحيث يضطر إليه من غير نظر ولا استدلال كالعلم بأن النار حارة مثلاً.

والنظري ما يحتاج إلى نظر واستدلال كالعلم بوجوب النية في الوضوء.

(١) رَحِمَكَ اللَّهُ أَفَاضَ عَلَيْكَ مِنْ رَحْمَتِهِ الَّتِي تَحَصَّلُ بِهَا عَلَى مَطْلُوبِكَ وَتَنْجُو مِنْ مَذْوِرِكَ ، فَالْمَعْنَى غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا مَضَى مِنْ ذَنْبِكَ ، وَوَفَقَكَ وَعَصَمَكَ فِيمَا يَسْتَقْبِلُ مِنْهَا هَذَا إِذَا أَفْرَدْتَ الرَّحْمَةَ ، أَمَا إِذَا قَرَنْتَ بِالْمَغْفِرَةِ فَالْمَغْفِرَةُ لِمَا مَضَى مِنَ الذَّنْبِ ، وَالرَّحْمَةُ وَالتَّوْفِيقُ لِلخَيْرِ وَالسَّلَامَةِ مِنَ الذَّنْبِ فِي الْمُسْتَقْبِلِ .

وصنيع المؤلف رحمه الله تعالى يدل على عنایته وشفقته بالمخاطب وقصد الخير له.

(٢) هذه المسائل التي ذكرها المؤلف رحمه الله تعالى تشمل الدين كله فهي جديرة بالعناية لعظم نفعها.

(٣) أي معرفة الله عز وجل بالقلب معرفة تستلزم قبول ما شرعه والإذعان والانقياد له، وتحكيم شريعته التي جاء بها رسوله محمد ﷺ، ويتعرف العبد على ربه بالنظر في الآيات الشرعية في كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ، والنظر في الآيات الكونية التي هي المخلوقات، فإن الإنسان كلما نظر في تلك الآيات ازداد علماً بخالقه ومعبوده قال الله عز وجل : « وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ * وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا يَبْصِرُونَ » [سورة الذاريات، الآيتين : ٢٠-٢١].

وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ^(١) وَمَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلَامِ^(٢)

(١) أي معرفة رسوله محمد ﷺ المعرفة التي تستلزم قبول ما جاء به من الهدى ودين الحق، وتصديقه فيما أخبر، وامتثال أمره فيما أمر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وتحكيم شريعته والرضا بحكمه قال الله عز وجل : « فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَحِدُّوْا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا سَلِيمًا » [سورة النساء، الآية: ٦٥]. وقال تعالى : « إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيُحَكِّمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَوْءَانَا وَأَطَعْنَا وَأَوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » [سورة النور، الآية: ٥١]. وقال تعالى : « فَإِن تَنْزَعُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا » [سورة النساء، الآية: ٥٩]. وقال عز وجل : « فَلَيَحْذَرَ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ » [سورة النور، الآية: ٦٣]. قال الإمام أحمد رحمه الله : « أتدرى ما الفتنة؟ الفتنة الشرك لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيف فيهلك ».

(٢) قوله معرفة دين الإسلام : الإسلام بالمعنى العام هو التبعد عن الله بما شرع منذ أن أرسل الله الرسل إلى أن تقوم الساعة كما ذكر عز وجل ذلك في آيات كثيرة تدل على أن الشرائع السابقة كلها إسلام لله عز وجل : قال الله تعالى عن إبراهيم : « رَبَّنَا وَأَجْعَنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمَنْ ذُرِّيَّتَنَا أَمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ » [سورة البقرة، الآية: ١٢٨].

والإسلام بالمعنى الخاص بعد بعثة النبي ﷺ يختص بما بعث به محمد ﷺ لأن ما بعث به النبي ﷺ نسخ جميع الأديان السابقة فصار من اتبعه مسلماً ومن خالفه ليس بمسلم ، فأتباع الرسل مسلمون في زمن رسالتهم ،

.....
بِالْأَدِلَةِ^(١)

فاليهود مسلمون في زمن موسى عليه السلام، والنصارى مسلمون في زمن عيسى عليه السلام، وأما حين بعث النبي محمد عليه السلام فكفروا به فليسوا ب المسلمين .

وهذا الدين الإسلامي هو الدين المقبول عند الله النافع لصاحبته قال الله عز وجل : « إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَمُ » [سورة آل عمران ، الآية : ١٩] ، وقال : « وَمَنْ يَتَبَعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِيرِينَ » [آل عمران ، الآية : ٨٥] وهذا الإسلام هو الإسلام الذي امتن الله به على محمد عليه السلام وأمته ، قال الله تعالى : « أَلَيْوَمْ أَكَلَتْ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمْتَعْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيَتْ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا » [سورة المائدة ، الآية : ٣] .

(١) قوله : بالأدلة جميع دليل وهو ما يرشد إلى المطلوب ، والأدلة على معرفة ذلك سمعية ، وعقلية ، فالسمعية ما ثبت بالوحى وهو الكتاب والسنة ، والعقلية ما ثبت بالنظر والتأمل ، وقد أكثر الله عز وجل من ذكر هذا النوع في كتابه فكم من آية قال الله فيها ومن آياته كذا وكذا وهكذا يكون سياق الأدلة العقلية الدالة على الله تعالى .

وأما معرفة النبي عليه السلام بالأدلة السمعية فمثل قوله تعالى : « مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعْهُ » [سورة الفتح ، الآية : ٢٩] الآية . وقوله : « وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَقَ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ » [سورة آل عمران ، الآية : ١٤٤] . بالأدلة العقلية بالنظر والتأمل فيما أتى به من الآيات البينات التي أعظمها كتاب الله عز وجل المشتمل على الأخبار الصادقة النافعة والأحكام المصلحة العادلة ، وما جرى على يديه من خوارق العادات ، وما أخبر به من أمور الغيب التي لا تصدر إلا عن وحي والتي صدقها ما وقع منها .

الثانية العمل بـ^(١) الثالثة: الدعوة إلى الله^(٢)

(١) قوله العمل به أي العمل بما تقتضيه هذه المعرفة من الإيمان بالله والقيام بطاعته بامتثال أوامرها واجتناب نواهيه من العبادات الخاصة، والعبادات المتعدية، فالعبادات الخاصة مثل الصلاة، والصوم، والحجج، والعبادات المتعدية كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله وما أشبه ذلك.

والعمل في الحقيقة هو ثمرة العلم، فمن عمل بلا علم فقد شابه النصارى، ومن علم ولم يعمل فقد شابه اليهود.

(٢) أي الدعوة إلى ما جاء به الرسول ﷺ من شريعة الله تعالى على مراتبها الثلاث أو الأربع التي ذكرها الله عز وجل في قوله: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِيلُهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحَسَنُ﴾ [سورة النحل، الآية: ١٢٥] والرابعة قوله: ﴿وَلَا يُحِدُّلُوا أَهْلَ الْكِتَابَ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحَسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [سورة العنكبوت، الآية: ٤٦].

ولابد لهذه الدعوة من علم بشريعة الله عز وجل حتى تكون الدعوة عن علم وبصيرة. لقوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ دِرْجَاتُ رَبِّكَ أَدْعُوكُمْ إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ أَتَبَعَنِي وَسُبْحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشَرِّكِينَ﴾ [سورة يوسف، الآية: ١٠٨] وال بصيرة تكون فيما يدعو إليه لأن يكون الداعية عالماً بالحكم الشرعي، وفي كيفية الدعوة، وفي حال المدعو.

ومجالات الدعوة كثيرة منها: الدعوة إلى الله تعالى بالخطابة، وإلقاء المحاضرات، ومنها الدعوة إلى الله بالمقالات، ومنها الدعوة إلى الله بحلقات العلم، ومنها الدعوة إلى الله بالتأليف ونشر الدين عن طريق التأليف،

ومنها الدعوة إلى الله في المجالس الخاصة فإذا جلس الإنسان في مجلس في دعوة مثلاً فهذا مجال للدعوة إلى الله عز وجل ولكن ينبغي أن تكون على وجه لا ملل فيه ولا إثقال، ويحصل هذا بأن يعرض الداعية مسألة علمية على الجالسين ثم تبتدئ المناقشة ومعلوم أن المناقشة والسؤال والجواب له دور كبير في فهم ما أنزل الله على رسوله وتفهيمه، وقد يكون أكثر فعالية من إلقاء خطبة أو محاضرة إلقاء مرسلًا كما هو معلوم.

والدعوة إلى الله عز وجل هي وظيفة الرسل عليهم الصلاة والسلام وطريقة منتبعهم بإحسان، فإذا عرف الإنسان معبوده، ونبيه، ودينه ومن الله عليه بال توفيق لذلك فإن عليه السعي في إنقاذ أخوانه بدعوتهم إلى الله عز وجل ولبيسر بالخير، قال النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم خير: «انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه، فهو الله لأن يهدى الله بك رجلاً واحداً خيراً لك من حمر النعم»^(١) متفق على صحته. ويقول ﷺ فيما رواه مسلم: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلاله كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً»^(٢). وقال ﷺ فيما رواه مسلم أيضاً: «من دل على خير فله مثل أجر فاعله»^(٣).

(١) رواه البخاري، كتاب الجهاد، باب: دعاء النبي ﷺ إلى الإسلام والنبوة. ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب: فضائل علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - .

(٢) مسلم، كتاب العلم، باب: من سن سنة حسنة أو سيئة.

(٣) مسلم، كتاب الإمارة، باب: فضل إعانة الغازى في سبيل الله بمرکوب وغيره.

الرابعة: الصبر على الأذى فيه^(١)

(١) الصبر حبس النفس على طاعة الله، وحبسها عن معصية الله، وحبسها عن التسخط من أقدار الله فيحبس النفس عن التسخط والتضجر والملل، ويكون دائمًا نشيطاً في الدعوة إلى دين الله وإن أوذى، لأن أذية الداعين إلى الخير من طبيعة البشر إلا من هدى الله قال الله تعالى لنبيه ﷺ: «وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رَسُولُنَا مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَنَّهُمْ نَصَرُوهُ» [سورة الأنعام، الآية: ٣٤] وكلما قويت الأذية قرب النصر، وليس النصر مختصاً بأن ينصر الإنسان في حياته ويرى أثر دعوته قد تحقق بل النصر يكون ولو بعد موته بأن يجعل الله في قلوب الخلق قبولاً لما دعا إليه وأخذ بأه وتمسكاً به فإن هذا يعتبر نصر لهذا الداعية وإن كان ميتاً، فعل الداعية أن يكون صابراً على دعوته مستمراً فيها، صابراً على ما يدعو إليه من دين الله عز وجل، صابراً على ما يعرض دعوته، صابراً على ما يعرضه هو من الأذى، وهذا هم الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أوزوا بالقول وبالفعل قال الله تعالى: «كَذَّلِكَ مَا أَفَقَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا فَالْأُولُوا سَاحِرُونَ أَوْ بَحْرُونَ» [سورة الذاريات، الآية: ٥٢] وقال عز وجل: «وَكَذَّلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ» [سورة الفرقان، الآية: ٣١] ولكن على الداعية أن يقابل ذلك بالصبر وانظر إلى قول الله عز وجل لرسوله ﷺ: «إِنَّا نَخْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَزَبِّلًا» [سورة الإنسان، الآية: ٢٣] كان من المنتظر أن يقال فاشكر نعمة ربك ولكنه عز وجل قال: «فَأَصْبِرْ لِحَكْمِ رَبِّكَ» [سورة الإنسان، الآية: ٢٤] وفي هذا إشارة إلى أن كل من قام بهذا القرآن فلا بد أن يناله ما يحتاج إلى صبر، وانظر إلى حال النبي ﷺ حين ضربه قومه فأدمواه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول:

والدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَالْعَصْرٌ * إِنَّ الْإِنْسَنَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ أَمْتَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّابِرِ ﴾^(١) . . .

«اللهُم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»^(١) فعل الداعية أن يكون صابراً محتسباً.

والصبر ثلاثة أقسام:

- ١ - صبر على طاعة الله.
- ٢ - صبر عن محارم الله.
- ٣ - صبر على أقدار الله التي يجريها إما مما لا كسب للعباد فيه، وإما مما يجريه الله على أيدي بعض العباد من الإيذاء والاعتداء.

(١) قوله والدليل أي على هذه المراتب الأربع قوله تعالى: ﴿ وَالْعَصْرٌ ﴾ أقسم الله عز وجل في هذه السورة بالعصر الذي هو الدهر وهو محل الحوادث من خير وشر، فأقسم الله عز وجل به على أن الإنسان كل الإنسان في خسر إلا من اتصف بهذه الصفات الأربع: الإيمان، والعمل الصالح، والتوصي بالحق، والتوصي بالصبر.

ـ قال ابن القيم -رحمه الله تعالى-: جهاد النفس أربع مراتب:

إحداها: أن يجاهدها على تعلم الهدى ودين الحق الذي لا فلاح لها ولا سعادة في معاشها ومعادها إلا به.

الثانية: أن يجاهدها على العمل به بعد علمه.

(١) رواه البخاري، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين. ومسلم، كتاب الجهاد، باب: غزوة أحد.

.....

الثالثة: أن يجاهدها على الدعوة إليه وتعليمه من لا يعلمه.

الرابعة: أن يجاهدها على الصبر على مشاق الدعوة إلى الله وأذى الخلق ويتحمل ذلك كله لله، فإذا استكمل هذه المراتب الأربع صار من الربانيين».

فإله عز وجل أقسم في هذه السورة بالعصر على أن كل إنسان فهو في خيبة وخسر مهما كثر ماله وولده وعظم قدره وشرفه إلا من جمع هذه الأوصاف الأربع:

أحدها: الإيمان ويشمل كل ما يقرب إلى الله تعالى من اعتقاد صحيح وعلم نافع.

الثاني: العمل الصالح وهو كل قول أو فعل يقرب إلى الله بأن يكون فاعله لله مخلصاً ولمحمد ﷺ متابعاً.

الثالث: التواصي بالحق وهو التواصي على فعل الخير والتحث عليه والترغيب فيه.

الرابع: التواصي بالصبر بأن يوصي بعضهم ببعضًا بالصبر على فعل أوامر الله تعالى، وترك محارم الله، وتحمل أقدار الله.

والتواصي بالحق والتواصي بالصبر يتضمنان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اللذين بهما قوام الأمة وصلاحها ونصرها وحصول الشرف والفضيلة لها: «كُتُّمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أَخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَاوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ» [سورة آل عمران، الآية: ١١٠].

قال الشافعی - رحمة الله تعالى^(١) : «لَوْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إِلَّا هَذِهِ السُّورَةَ لَكَفْتُهُمْ»^(٢) وَقَالَ الْبُخَارِيَّ - رَحْمَةُ اللهُ^(٣) - : «بَابُ الْعِلْمِ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ». وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : «فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِذَنْبِكَ» [سورة محمد، الآية: ١٩] ، فَبَدَا بِالْعِلْمِ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ^(٤) .

(١) الشافعی هو أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع الهاشمي القرشي، ولد في غزة سنة ١٥٠ هـ وتوفي بمصر سنة ٢٠٤ هـ وهو أحد الأئمة الأربعة على الجميع رحمة الله تعالى.

(٢) مراده رحمه الله أن هذه السورة كافية للخلق في الحث على التمسك بدين الله بالإيمان، والعمل الصالح، والدعوة إلى الله، والصبر على ذلك، وليس مراده أن هذه السورة كافية للخلق في جميع الشريعة.

وقوله : «لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكتفهم» لأن العاقل البصير إذا سمع هذه السورة أو قرأها فلابد أن يسعى إلى تخلص نفسه من الخسران وذلك باتصافه بهذه الصفات الأربع : الإيمان، والعمل الصالح، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر.

(٣) البخاري هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، ولد ببخارى في شوال سنة أربع وتسعين ومائة ونشأ يتيمًا في حجر والدته، وتوفي رحمه الله في خرنتك بلدة على فرسخين من سمرقند ليلة عيد الفطر سنة ست وخمسين ومائتين .

(٤) استدل البخاري رحمه الله بهذه الآية على وجوب البداءة بالعلم قبل

.....

القول والعمل وهذا دليل أثري يدل على أن الإنسان يعلم أولاً ثم يعمل ثانياً، وهناك دليل عقلي نظري يدل على أن العلم قبل القول والعمل وذلك لأن القول أو العمل لا يكون صحيحاً مقبولاً حتى يكون على وفق الشريعة، ولا يمكن أن يعلم الإنسان أن عمله على وفق الشريعة إلا بالعلم، ولكن هناك أشياء يعلمها الإنسان بفطرته كالعلم بأن الله إله واحد فإن هذا قد فطر عليه العبد ولهذا لا يحتاج إلى عناء كبير في التعلم، أما المسائل الجزئية المنتشرة فهي التي تحتاج إلى تعلم وتكرис جهود.

* * *

أعلم رحمة الله: أن يحب على كل مسلم وMuslimah تعلم ثلاث
هذه المسائل والعمل بهن، الأولى: أن الله خلقنا^(١)

(١) ودليل ذلك أعني أن الله خلقنا سمعي وعقلي:

أما السمعي فكثير ومنه قوله عز وجل: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمٌّ عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْرَوْنَ ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ٢] وقوله: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ مِّمَّ صَوَرْنَاكُمْ ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ١١] الآية، وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَنَ مِنْ صَلَصَلٍ مِّنْ حَمَّا مَسْنُونٍ ﴾ [سورة الحجر، الآية: ١٥] وقوله: ﴿ وَمِنْ إِيمَانِهِ أَنَّ خَلْقَكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنَشَّرُونَ ﴾ [سورة الروم، الآية: ٢٩] وقوله: ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَنَ مِنْ صَلَصَلٍ كَالْفَخَارِ ﴾ [سورة الرحمن، الآية: ١٤] وقوله: ﴿ أَللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [سورة الزمر، الآية: ٦٢] وقوله: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [سورة الصافات، الآية: ٩٦] وقوله: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَنَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ ﴾ [سورة الذاريات، الآية: ٥٦] إلى غير ذلك من الآيات.

أما الدليل العقلي على أن الله خلقنا فقد جاءت الإشارة إليه في قوله تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَلِقُونَ ﴾ [سورة الطور، الآية: ٣٥] فإن الإنسان لم يخلق نفسه لأنه قبل وجوده عدم والعدم ليس بشيء وما ليس بشيء لا يوجد شيئاً، ولم يخلقه أبوه ولا أمه ولا أحد من الخلق، ولم يكن ليأتي صدفة بدون موجب؛ لأن كل حادث لا بد له من محدث؛ ولأن وجود هذه المخلوقات على هذا النظام البديع والتناسق المتألف يمنع منعاً باتاً أن يكون صدفة. إذ الموجود صدفة ليس على نظام في أصل وجوده فكيف يكون متظماً حال بقائه وتطوره، فتعين بهذا أن يكون الخالق هو الله وحده فلا خالق ولا أمر إلا الله، قال الله تعالى: ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ٥٤]

ورَزَقَنَا^(١) ..

ولم يعلم أن أحداً من الخلق أنكر ربوبية الله سبحانه وتعالى إلا على وجه المكابرة كما حصل من فرعون، وعندما سمع جبير بن مطعم رسول الله ﷺ يقرأ سورة الطور فبلغ قوله تعالى: «أَمْ خَلَقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَلِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُؤْفِقُونَ * أَمْ عِنْدَهُمْ خَرَابٌ رَّبِكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيَّطِرُونَ» [سورة الطور، الآيات: ٣٧-٣٥] وكان جبير بن مطعم يومئذ مشركاً فقال: «كاد قلبي أن يطير وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي». ^(١)

(١) أدلة هذه المسألة كثيرة من الكتاب والسنة والعقل أما الكتاب: فقال الله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّازَاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمُتَّيِّنُ» [سورة الذاريات، الآية: ٥٨] وقال تعالى: «﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنْ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ﴾» [سورة سباء، الآية: ٢٤] وقوله: «﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ يَمْلِكُ السَّمَاءُ وَالْأَبْصَرُ وَمَنْ يُنْجِحُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُنْجِحُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يَدْرِي الْأَمْرُ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾» [سورة يونس، الآية: ٢١] والآيات في هذا كثيرة.

وأما السنة: فمنها قوله ﷺ في الجنين يبعث إليه ملك فيؤمر بأربع كلمات بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أم سعيد. ^(٢)

وأما الدليل العقلي على أن الله رزقنا فلأننا لا نعيش إلا على طعام وشراب، والطعام والشراب خلقه الله عز وجل كما قال الله تعالى: «أَفَرَءَ يَتَمَّ مَا تَحْرُثُونَ * أَنَّمَّا تَرْزَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْزَّرِّعُونَ * لَوْنَشَاءَ لَجَعَلْنَاهُ حُطَّامًا فَظَلَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ * إِنَّا لَمُعْرِمُونَ * بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ * أَفَرَءَ يَتَمَّ الْمَاءَ

(١) البخاري، كتاب التفسير، سورة الطور.

(٢) البخاري، كتاب القدر. ومسلم، كتاب القدر.

وَلَمْ يَتُرْكُنَا هَمَلاً^(١) بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولاً^(٢)

الَّذِي نَشَرَ عَوْنَانِ^{*} * أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمَرْءَنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزَلُونَ * لَوْنَشَاءَ جَعَلْنَاهُ أَجَاجًا فَلَوْلَا تَشَكُّرُونَ^{﴿﴾} [سورة الواقعة، الآيات: ٦٣-٧٠] ففي هذه الآيات بيان إن رزقنا طعاماً وشراباً من عند الله عز وجل .

(١) هذا هو الواقع الذي تدل عليه الأدلة السمعية والعقلية :

أما السمعية فمنها قوله تعالى: ﴿فَاحْسِبُنَا أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجِعُونَ * فَتَعْلَمَ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [سورة المؤمنين، الآيتين: ١١٥، ١١٦] وقوله: ﴿أَيْخَسِبُ الْإِنْسَنُ أَنْ يَرَكَ سُدًّي * أَتَرَيْكُمْ نُطْفَةً مِّنْ يَعْمَى * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَى * بَعْلَ مِنْهُ الرَّوْحَىنِ الْذَّكَرُ وَالْأُنْثَى * أَلَيْسَ ذَلِكَ يَقْدِيرُ عَلَى أَنْ يُخْيِي الْمَوْتَ﴾ [سورة القيمة، الآيات: ٣٦-٤٠].

وأما العقل : فلأن وجود هذه البشرية لتحيا ثم تتمتع كما تتمتع الأنعام ثم تموت إلى غير بعث ولا حساب أمر لا يليق بحكمة الله عز وجل بل هو عبث محض ، ولا يمكن أن يخلق الله هذه الخليقة ويرسل إليها الرسل ويبعث لنا دماء المعارضين المخالفين للرسل عليهم الصلاة والسلام ثم تكون النتيجة لا شيء ، هذا مستحيل على حكمة الله عز وجل .

(٢) أي أن الله عز وجل أرسل إلينا معاشر هذه الأمة محمد ﷺ رسوله يتلو علينا آيات ربنا ، ويزكيانا ، ويعلمنا الكتاب والحكمة ، كما أرسل إلى من قبلنا ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿وَإِنْ مَنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَّا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [سورة فاطر، الآية: ٢٤] ولابد أن يرسل الله الرسل إلى الخلق لتقوم عليهم الحجة وليعبدوا الله بما يحبه ويرضاه قال الله تبارك وتعالى : ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ

فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ^(١)

كما أوحينا إلى نوح والذين من بعده، وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباء ويعسى وأبيوب ويوسف وهرون وسلیمان وآتينا داؤد زبورا * ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما * رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيمَا [سورة النساء، الآيات: ١٦٥-١٦٣]

ولا يمكن أن نعبد الله بما يرضاه إلا عن طريق الرسل عليهم الصلاة والسلام لأنهم هم الذين بينوا لنا ما يحبه الله ويرضاه، وما يقربنا إليه عز وجل بذلك كان من حكمة الله أن أرسل إلى الخلق رسلاً مبشرين ومنذرين الدليل قوله تعالى: «إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فَرْعَوْنَ رَسُولًا * فَعَصَمْ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخْذَنَاهُ أَخْذًا وَيِلًا» [سورة المزمول، الآيتين: ١٥، ١٦].

(١) هذا حق مستفاد من قوله تعالى: «وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ * وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَتْ لِلْمُتَّقِينَ» [سورة آل عمران، الآيتين: ١٣٣-١٣٢] ومن قوله تعالى: «وَمَنْ يُطِعَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلُهُ جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَلِيلِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» [سورة النساء، الآية: ١٣] ومن قوله تعالى: «وَمَنْ يُطِعَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَى اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِرُونَ» [سورة النور، الآية: ٥٢] وقوله: «وَمَنْ يُطِعَ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّنَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشَّهِداءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسَنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا» [سورة النساء، الآية: ٦٩] وقوله: «وَمَنْ يُطِعَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فازَ فَوْزًا عَظِيمًا» [سورة الأحزاب، الآية: ٧١] والآيات في ذلك كثيرة .

وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ^(١) وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : « إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَهِيدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ فِرْعَوْنَ رَسُولًا * فَعَصَى فِرْعَوْنَ رَسُولَنَا فَأَخْذَنَاهُ أَخْذًا وَبِيَلًا » [سورة المزمل، الآيتين: ١٥، ١٦].

الثانية: ^(٢) أَنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى أَنْ يُشْرِكَ مَعَهُ أَحَدٌ فِي عِبَادَتِهِ لَا مَلَكٌ مُقْرَبٌ ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ . وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : « وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا » [سورة الجن، الآية: ١٨].

= ومن قوله ﷺ: « كل أمتی يدخلون الجنة إلا من أبي» فقيل: ومن يأبى^(١) يا رسول الله؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني دخل النار» رواه البخاري.

(١) هذا أيضاً حق مستفاد من قوله تعالى: « وَمَنْ يَعْصِي اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخَلُهُ نَارًا خَلِدًا فِيهَا وَلَمْ يَعْذَابْ مُهِيمٌ » [سورة النساء، الآية: ١٤] وقوله: « وَمَنْ يَعْصِي اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا » [سورة الأحزاب، الآية: ٣٦] وقوله: « وَمَنْ يَعْصِي اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارًا جَهَنَّمَ خَلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا » [سورة الجن، الآية: ٢٣] ومن قوله ﷺ في الحديث السابق: « ومن عصاني دخل النار».

(٢) أي المسألة الثانية مما يجب علينا علمه أن الله سبحانه وتعالى لا يرضى أن يشرك معه في عبادته أحد، بل هو وحده المستحق للعبادة ودليل ذلك ما ذكره المؤلف رحمه الله في قوله تعالى: « وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا » [سورة الجن، الآية: ١٨] فنهى الله تعالى أن يدعوا الإنسان مع الله أحداً،

(١) رواه البخاري ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة ، باب: الإقتداء بسُنن رسول الله ﷺ.

الثالثة: (١) أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ وَوَحْدَ اللَّهَ لَا يَجُوزُ لَهُ مُؤْلَأَةً مِنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى :

والله لا ينهي عن شيء إلا وهو لا يرضاه سبحانه وتعالى وقال الله عز وجل : « إِنَّكُفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفَّارُ وَإِنْ شَكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ » [سورة الزمر ، الآية: ٧] ، وقال تعالى : « فَإِنْ تَرْضُوا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ » [سورة التوبة ، الآية: ٩] ، فالكفر والشرك لا يرضاه الله سبحانه وتعالى بل إنما أرسل الرسل وأنزل الكتب لمحاربة الكفر والشرك والقضاء عليهم ، قال الله تعالى : « وَقَاتَلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونُ الَّذِينَ كُلُّهُمْ لِلَّهِ » [سورة الأنفال ، الآية: ٣٩] وإذا كان الله لا يرضى بالكفر والشرك فإن الواجب على المؤمن أن لا يرضى بهما ، لأن المؤمن رضاه وغضبه تبع رضا الله وغضبه ، فيغضب لما يغضب الله ، ويرضى بما يرضاه الله عز وجل ، وكذلك إذا كان الله لا يرضى الكفر ولا الشرك فإنه لا يليق بمؤمن أن يرضى بهما . والشرك أمره خطير قال الله عز وجل : « إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنِ يَشَاءُ » [سورة النساء ، الآية: ٤٨] وقال تعالى : « إِنَّمَا مَنْ يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَمَ اللَّهَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَا أَنْوَهُ أَثَارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ » [سورة المائدة ، الآية: ٧٢] وقال النبي ﷺ : « من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة ، ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار » (١) .

(١) أي المسألة الثالثة مما يجب علينا علمه الولاء والبراء ، والولاء والبراء

(١) رواه البخاري ، كتاب العلم ، باب : من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهة أن لا يفهموا .
ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب : من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة .

﴿لَا تَحْدُدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادِونَ مَنْ حَادَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا أَبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمْ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيَدُ خَلْقِهِمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْنِهَا الْأَنْهَرُ خَلِيلِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة المجادلة، الآية : ٢٢]

أصل عظيم جاءت فيه النصوص الكثيرة قال الله عز وجل : ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَنْخِذُوا بِطَانَةً مِّنْ دُونِكُمْ لَا يَأْتُونَكُمْ بَحَالًا﴾ [سورة آل عمران، الآية : ١١٨]. وقال تعالى : ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَنْخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءَ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَهَّمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة المائدة، الآية : ٥١] وقال سبحانه وتعالى : ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَنْخِذُوا الَّذِينَ أَخْذُوا دِينَكُمْ هُرُوفًا وَلِعَبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارُ أَوْلِيَاءَ وَأَنْتُمُ أَلَّا تَنْهَا إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ [سورة المائدة، الآية : ٥٧] وقال تعالى : ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَنْخِذُوا أَبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنْ أَسْتَحْبُوا الْكُفَّارَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * قُلْ إِنْ كَانَ أَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَنْوَلَ أَقْرَفَتُمُوهَا وَتَجَرَّهُ تَخْشُونَ كَسَادَهَا وَمَسَكِنَ تَرْضُونَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجَهَادِ فِي سَبِيلِهِ فَتَرْبَصُوا حَتَّى يَأْفِي اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [سورة التوبة، الآيتين : ٢٣-٢٤] وقال عز وجل : ﴿فَقَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ وَإِذْ قَالُوا لِتَوَهَّمْ إِنَّا بُرَءَاءُّونَا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾

كَفَرُنَا بِكُمْ وَبِمَا يَتَّبِعُنَا وَيَنْهَا كُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَعْضَاءُ أَبْدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ۝

[سورة المتحنة، الآية: ٤] الآية. ولأن موalaة من حاد الله ومدارته تدل على أن ما في قلب الإنسان من الإيمان بالله ورسوله ضعيف؛ لأنه ليس من العقل أن يحب الإنسان شيئاً هو عدو لمحبوبه، وموalaة الكفار تكون بمناصرتهم وتعاونتهم على ما هم عليه من الكفر والضلال، وموادتهم تكون بفعل الأسباب التي تكون بها مودتهم فتجده يوادهم أي يطلب ودهم بكل طريق، وهذا لا شك ينافي الإيمان كله أو كماله، فالواجب على المؤمن معاداة من حاد الله ورسوله ولو كان أقرب قريب إليه، وبغضه والبعد عنه ولكن هذا لا يمنع نصيحته ودعوه للحق.

* * *

اَعْلَمُ^(١) أَرْسَدَكَ اللَّهُ^(٢) لِطَاعَتِهِ^(٣) : اَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ^(٤) مِلَّةُ^(٥) إِبْرَاهِيمَ^(٦)
 اَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ^(٧) مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ^(٨)

(١) تقدم الكلام على العلم فلا حاجة إلى إعادته هنا.

(٢) الرشد: الاستقامة عن طريق الحق.

(٣) الطاعة: موافقة المراد فعلاً للمأمور وتركاً للمحظور.

(٤) الحنيفة: هي الملة المائلة عن الشرك، البنية على الإخلاص لله عز وجل.

(٥) أي طريقة الدينية التي يسير عليه عليه الصلاة والسلام.

(٦) إبراهيم هو خليل الرحمن قال عز وجل: «وَأَنَّحَدَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا» [سورة النساء، الآية: ١٢٥] وهو أبو الأنبياء وقد تكرر ذكر منهجه في مواضع كثيرة للاقتداء به.

(٧) قوله «أن تعبد الله» هذه خبر «أن» في قول «أن الحنيفة» والعبادة بمفهومها العام هي «التدلل لله محبة وتعظيمًا بفعل أوامره واجتناب نواهيه على الوجه الذي جاءت به شرائعه».

أما المفهوم الخاص لل العبادة - يعني تفصيلها - فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال، والأعمال الظاهرة والباطنة كالخوف، والخشية، والتوكل، والصلوة، والزكاة، والصوم وغير ذلك من شرائع الإسلام».

(٨) الإخلاص هو التنقية والمراد به أن يقصد المرء بعبادته وجه الله عز وجل والوصول إلى دار كرامته بحيث لا يعبد معه غيره لا ملكاً مقرباً ولانبياً

وَبِذَلِكَ^(١) أَمْرَ اللَّهُ جَمِيعَ النَّاسِ وَخَلَقَهُمْ لَهَا كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :
 »وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّا وَالْإِنْسَا إِلَّا لِيَعْبُدُونَ« [سورة الذاريات، الآية: ٥٦]
 وَمَعْنَى يَعْبُدُونَ يُوَحَّدُونَ^(٢)

مرسلاً قال الله تعالى: « ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ » [سورة النحل، الآية: ١٢٣]. وقال الله تعالى: « وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفَهَهُ وَلَقَدْ أَصْطَافَنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لِمَنِ الْصَّالِحِينَ * إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ * وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَبْيَنِي إِنَّ اللَّهَ أَصْطَافَنِي لَكُمُ الَّذِينَ فَلَا تَمُوْنَ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ » [سورة البقرة، الآيات: ١٣٢-١٣٠].

(١) أي بالحنفية وهي عبادة الله خلصا له الدين أمر الله جميع الناس وخلقهم لها، كما قال الله تعالى: « وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحَى إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونَ » [سورة الأنبياء، الآية: ٢٥] وبين الله عز وجل في كتابه أن الخلق إنما خلقوه لهذا فقال تعالى: « وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّا وَالْإِنْسَا إِلَّا لِيَعْبُدُونَ » [سورة الذاريات، الآية: ٥٦].

(٢) يعني التوحيد من معنى العبادة وإن فقد سبق لك معنى العبادة وعلى أي شيء تطلق وأنها أعم من مجرد التوحيد.

وأعلم أن العبادة نوعان:

عبادة كونية وهي الخضوع لأمر الله تعالى الكوني وهذه شاملة لجميع الخلق لا يخرج عنها أحد لقوله تعالى: « إِنَّ كُلُّ مَنِ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا أَقِنَ الرَّحْمَنَ عَبْدًا » [سورة مريم، الآية: ٩٣] فهي شاملة للمؤمن والكافر،

وَأَعْظَمُ مَا أَمْرَ اللَّهُ بِهِ التَّوْحِيدُ وَهُوَ: إِفْرَادُ اللَّهِ بِالْعِبَادَةِ^(١)

والبر والفاجر.

والثاني: عبادة شرعية وهي الخضوع لأمر الله تعالى الشرعي وهذه خاصة بمن أطاع الله تعالى واتبع ما جاءت به الرسل مثل قوله تعالى: ﴿ وَعَبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هُنَّا ﴾ [سورة الفرقان، الآية: ٦٣]. فالنوع الأول لا يحمد عليه الإنسان لأنه بغير فعله لكن قد يحمد على ما يحصل منه من شكر عند الرخاء وصبر على البلاء بخلاف النوع الثاني فإنه يحمد عليه.

(١) التوحيد لغة مصدر وحد يوحد، أي جعل الشيء واحداً وهذا لا يتحقق إلا بنفي وإثبات، نفي الحكم عما سوى الموحد وإثباته له فمثلاً نقول: إنه لا يتم للإنسان التوحيد حتى يشهد أن لا إله إلا الله فينفي الألوهية عما سوى الله تعالى ويثبتها الله وحده.

وفي الاصطلاح عرف المؤلف بقوله: «التوحيد هو إفراد الله بالعبادة» أي أن تعبد الله وحده لا تشرك به شيئاً، لا تشرك بهنبياً مرسلاً، ولا ملكاً مقرباً ولا رئيساً ولا ملكاً ولا أحداً من الخلق، بل تفرده وحده بالعبادة محبة وتعظيمًا، ورغبة، ورهبة، ومراد الشيخ رحمه الله التوحيد الذي بعثت الرسل لتحقيقه لأنه هو الذي حصل به الإخلال من أقوامهم.

وهناك تعريف أعم للتوحيد وهو: «إفراد الله سبحانه وتعالى بما يختص به».

وأنواع التوحيد ثلاثة:

الأول: توحيد الربوبية وهو «إفراد الله سبحانه وتعالى بالخلق، والملك

والتدبر» قال الله عز وجل : «**أَلَّهُ خَلَقَ كُلِّ شَيْءٍ**» [سورة الزمر، الآية: ٦٢] وقال تعالى : «**هَلْ مِنْ خَلِيقٍ غَيْرَ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ**» [سورة فاطر، الآية: ٣] وقال تعالى : «**تَبَارَكَ الَّذِي بَيَّنَهُ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**» [سورة الملك، الآية: ١] وقال تعالى : «**أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**» [سورة الأعراف، الآية: ٥٤].

الثاني : توحيد الألوهية وهو «إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة بأن لا يتخد الإنسان مع الله أحداً يعبده ويقرب إليه كما يعبد الله تعالى ويقترب إليه».

الثالث : توحيد الأسماء والصفات وهو «إفراد الله سبحانه وتعالى بما سمي به نفسه ووصف به نفسه في كتابه ، أو على لسان رسوله ﷺ وذلك بإثبات ما أثبته ، ونفي ما نفاه من غير تحريف ، ولا تعطيل ، ومن غير تكيف ، ولا تتشيل».

ومراد المؤلف هنا توحيد الألوهية وهو الذي ضل فيه المشركون الذين قاتلهم النبي ﷺ واستباح دماءهم وأموالهم وأراضيهم وديارهم وسبى نساءهم وذرياتهم ، وأكثر ما يعالج الرسل أقوامهم على هذا النوع من التوحيد . قال تعالى : «**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِّي أَعْبُدُوا اللَّهَ**» [سورة النحل، الآية: ٢٩]. فالعبادة لا تصح إلا لله عز وجل ، ومن أخل بهذا التوحيد فهو مشرك كافر وإن أقر بتوحيد الربوبية والأسماء والصفات ، فلو فرض أن رجلاً يُقْرَأ إقراراً كاملاً بتوحيد الربوبية والأسماء والصفات ولكنه يذهب إلى القبر فيعبد صاحبه أو ينذر له قرباناً يتقرب به إليه فإنه

وأعظم ما نهى عنه الشرك . وهو : دعوة غيره معه والدليل قوله تعالى : ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾^(١) [سورة النساء ، الآية : ٣٦] .

مشرك كافر خالد في النار قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا مَن يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَمَ اللَّهَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَا تَأْمُلُهُ أَنَّا سَارُورُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ [سورة المائدة ، الآية : ٧٢] وإنما كان التوحيد أعظم ما أمر الله لأنه الأصل الذي يبني عليه الدين كله ، ولهذا بدأ به النبي ﷺ في الدعوة إلى الله ، وأمر من أرسله للدعوة أن يبدأ به .

(١) أعظم ما نهى الله عنه الشرك وذلك لأن أعظم الحقوق هو حق الله عز وجل فإذا فرط فيه الإنسان فقد فرط في أعظم الحقوق وهو توحيد الله عز وجل قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ الظُّلْمُ عَظِيمٌ ﴾ [سورة لقمان ، الآية : ١٣] وقال تعالى : ﴿ وَمَن يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدْ أَفْرَى إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ [سورة النساء ، الآية : ٤٨] وقال عز وجل : ﴿ وَمَن يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [سورة النساء ، الآية : ١١٦] وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا مَن يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَا تَأْمُلُهُ أَنَّا سَارُورُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ [سورة المائدة ، الآية : ٧٢] وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشَرِّكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ [سورة النساء ، الآية : ٤٨] وقال النبي ﷺ : « أعظم الذنب أن تجعل الله نداً وهو خلقك »^(١) . وقال عليه الصلاة والسلام فيما رواه مسلم عن جابر ، رضي الله عنه : « من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة ، ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار »^(٢) وقال

(١) رواه البخاري ، كتاب التوحيد ، باب : قوله تعالى : « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ». ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب : كون الشرك أثقل الذنوب .

(٢) رواه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب : من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة .

فَإِذَا قِيلَ لَكَ : مَا الْأَصْوُلُ^(١) الشَّلَاثَةُ الَّتِي يَحِبُّ عَلَى الْإِنْسَانِ . . .

النبي ﷺ: «من مات وَهُوَ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ نِدًّا دَخَلَ النَّارَ»^(١) رواه البخاري واستدل المؤلف رحمه الله تعالى لأمر الله تعالى بالعبادة ونفيه عن الشرك بقوله عز وجل: «**وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**» [سورة النساء، الآية: ٣٦] فأمر الله سبحانه وتعالى بعبادته ونفي عن الشرك به، وهذا يتضمن إثبات العبادة له وحده فمن لم يعبد الله فهو كافر مستكبر، ومن عبد الله وحده فهو مسلم مخلص. والشرك نوعان: شرك أكبر، وشرك أصغر.

فالنوع الأول: الشرك الأكبر وهو كل شرك أطلقه الشارع وكان متضمناً لخروج الإنسان عن دينه.

النوع الثاني: الشرك الأصغر وهو كل عمل قولي أو فعلي أطلق عليه الشرع وصف الشرك ولكنه لا يخرج عن الملة.

وعلى الإنسان الحذر من الشرك أكباه وأصغره فقد قال تعالى: «**إِنَّ اللَّهَ لَا يَعْفُرُ أَن يُشَرِّكَ بِهِ**» [سورة النساء، الآية: ٤٨].

(١) الأصول جمع أصل، وهو ما يبني عليه غيره، ومن ذلك أصل الجدار وهو أساسه، وأصل الشجرة الذي يتفرع منه الأغصان، قال الله تعالى: «**أَلمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيْبَةً كَشَجَرَةً طَيْبَةً أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَرَقَعُهَا فِي السَّكَمَاءِ**» [سورة إبراهيم، الآية: ٢٤].

(١) رواه البخاري، كتاب التفسير، سورة البقرة باب قوله تعالى: «**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَعَذَّذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا**» الآية: ١٦٥.

..... مَعْرِفَتُهَا^(١)؟ فَقُلْ : مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبُّهُ^(٢) ،

وهذه الأصول الثلاثة يشير بها المصنف رحمه الله إلى الأصول التي يسأل عنها الإنسان في قبره : من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟

(١) أورد المؤلف رحمه الله تعالى هذه المسألة بصيغة السؤال وذلك من أجل أن يتتبه الإنسان لها؛ لأنها مسألة عظيمة وأصول كبيرة؛ وإنما قال : إن هذه هي الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها لأنها هي الأصول التي يسأل عنها المرء في قبره إذا دفن وتولى عنه أصحابه أتاهم ملكان فأقعداه فسلاه من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فاما المؤمن فيقول : ربى الله ، وديني الإسلام ، ونبيي محمد ، وأما المرتاب أو المنافق فيقول : هاه هاه لا أدرى ، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته .

(٢) معرفة الله تكون بأسباب :

منها النظر والتفكير في مخلوقاته عز وجل فإن ذلك يؤدي إلى معرفته ومعرفة عظيم سلطانه وتمام قدرته ، وحكمته ، ورحمته قال الله تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ [سورة الأعراف ، الآية : ١٨٥] وقال عز وجل : ﴿إِنَّمَا أَعْطَكُمْ بِوَحْدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَقُرَدَيْ ثُمَّ نَفَرُوا﴾ [سورة سباء ، الآية : ٤٦] وقال تعالى : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخْتِلَافِ الْأَيَلِ وَالنَّهَارِ لَذِكْرٌ لِأُولَئِكَ الْأَلْتَبِ﴾ [سورة آل عمران ، الآية : ١٩٠] وقال عز وجل : ﴿إِنَّ فِي آخْتِلَافِ الْأَيَلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَذِكْرٌ لِقَوْمٍ يَسْتَغْوِي﴾ [سورة يومن ، الآية : ٦] وقال سبحانه وتعالى : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخْتِلَافِ الْأَيَلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلُكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَلَخِيَ بِهِ الْأَرْضَ

..... وَدِينَهُ^(١)،

بَعْدَ مَوْتَهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَحَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَأَيْنَتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ [سورة البقرة، الآية: ١٦٤].

ومن أسباب معرفة العبد ربه النظر في آياته الشرعية وهي الوحي الذي جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام فينظر في هذه الآيات وما فيها من المصالح العظيمه التي لا تقوم حياة الخلق في الدنيا ولا في الآخرة إلا بها، فإذا نظر فيها وتأملها وما اشتملت عليه من العلم والحكمة ووجد انتظامها وموافقتها لمصالح العباد عرف بذلك ربه عز وجل كما قال الله عز وجل : « أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ أَخْتِلَافًا كَثِيرًا » [سورة النساء، الآية: ٨٢].

ومنها ما يلقى الله عز وجل في قلب المؤمن من معرفة الله سبحانه وتعالى حتى كأنه يرى ربه رأي العين قال النبي عليه الصلاة والسلام ، حين سأله جبريل ما الإحسان؟ قال : « أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنْكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ ». ^(١)

(١) أي معرفة الأصل الثاني وهو دينه الذي كلف العمل به وما تضمنه من الحكمة والرحمة ومصالح الخلق ، ودرء المفاسد عنها ، ودين الإسلام من تأمله حق التأمل تاماً مبنياً على الكتاب والسنة عرف أنه دين الحق ، وأنه الدين الذي لا تقوم مصالح الخلق إلا به ، ولا ينبغي أن نقيس الإسلام بما عليه المسلمون اليوم ، فإن المسلمين قد فرطوا في أشياء كثيرة وارتكبوا

(١) أخرجه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب : بيان أركان الإيمان والإسلام .

وَنَبِيَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(١) .
 فَإِذَا قِيلَ لَكَ : مَنْ رَبُّكَ^(٢) ؟ فَقُلْ : رَبِّيَ اللَّهُ الَّذِي رَبَّنِي وَرَبَّيَ جَمِيعَ
 الْعَالَمِينَ بِنَعْمَهِ^(٣) ،

محاذير عظيمة حتى كان العائش بينهم في بعض البلاد الإسلامية يعيش في جو غير إسلامي .

والدين الإسلامي - بحمد الله تعالى - متضمن لجميع المصالح التي تضمنتها الأديان السابقة تمييز عليها بكونه صالحًا لكل زمان ومكان وأمة، ومعنى كونه صالحًا لكل زمان ومكان وأمة: أن التمسك به لا ينافي مصالح الأمة في أي زمان ومكان وأمة، فدين الإسلام يأمر بكل عمل صالح وينهى عن كل عمل سيء، فهو يأمر بكل خلق فاضل، وينهى عن كل خلق سافل .

(١) هذا هو الأصل الثالث وهو معرفة الإنسان نبيه محمدًا ﷺ، وتحصل بدراسة حياة النبي ﷺ، وما كان عليه من العبادة، والأخلاق، والدعوة إلى الله عز وجل، والجهاد في سبيله وغير ذلك من جوانب حياته عليه الصلاة والسلام، ولهذا ينبغي للكل إنسان يريد أن يزداد معرفة بنبيه وإيماناً به أن يطالع من سيرته ما تيسر في حربه وسلمه، وشدته ورخائه وجميع أحواله نسأل الله عز وجل أن يجعلنا من المتعين لرسوله ﷺ، باطنًا وظاهرًا، وأن يتوفانا على ذلك إنه وليه القادر عليه .

(٢) أي من هو ربك الذي خلقك، وأمده، وأعدك، ورزقك .

(٣) التربية هي عبارة عن الرعاية التي يكون بها تقويم المربي، ويُشعر

وَهُوَ مَعْبُودِي لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ^(١) وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ»^(٢) [سورة الفاتحة، الآية: ٢]. وَكُلُّ مَا سِوَى اللَّهِ عَالَمٌ

كلام المؤلف رحمه الله أن الرب مأخوذ من التربية لأنه قال : «الذي رباني وربى جميع العالمين بنعمته» فكل العالمين قد رباهم الله بنعمته وأعدهم لما خلقوا له ، وأمدتهم برزقه قال الله تبارك وتعالى في حماورة موسى وفرعون : «فَمَنْ زَيَّكُمَا يَنْمُوسَى * قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَنَا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ثُمَّ هَدَى» [سورة طه، الآيتين : ٤٩-٥٠] فكل أحد من العالمين قد رباه الله عز وجل بنعمته .

ونعم الله عز وجل على عباده كثيرة لا يمكن حصرها قال الله تبارك وتعالى : «وَإِن تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا» [سورة التحل، الآية: ١٨] فالله هو الذي خلقك وأعدك ، وأمدك ، ورزقك فهو وحده المستحق للعبادة .

(١) أي وهو الذي أعبده وأتذلل له خضوعاً ومحبة وتعظيمًا ، أفعل ما يأمرني به ، وأترك ما ينهاني عنه ، فليس لي أحد أعبده سوى الله عز وجل ، قال الله تبارك وتعالى : «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِّي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ» [سورة الأنبياء، الآية: ٢٥] وقال تعالى : «وَمَا أَمْرَرْنَا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ حُنَفَاءٌ وَيُقْسِمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكُوْنَةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ» [سورة البينة، الآية: ٥] .

(٢) استدل المؤلف رحمه الله لكون الله سبحانه وتعالى مربينا لجميع الخلق بقوله تعالى : «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» [سورة الفاتحة، الآية: ٢] يعني الوصف بالكمال والجلال والعظمة لله تعالى وحده .

«رَبِّ الْعَالَمِينَ» أي مربיהם بالنعم وخالفهم ومالكمهم ، والمدبر لهم كما شاء عز وجل .

وَأَنَا وَاحِدٌ مِّنْ ذَلِكَ الْعَالَمَ^(١) ، فَإِذَا قِيلَ لَكَ بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ^(٢) ؟ فَقُلْ :
بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ^(٣) وَمَنْ آتَاهُ اللَّيلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ، وَمَنْ
مَخْلُوقَاتِهِ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُونَ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَمَا بَيْنَهُمَا^(٤) .

(١) العالم كل من سوى الله، وسموه عالما لأنهم علم على خالقهم ومالكهم
ومدبرهم ففي كل شيء آية لله تدل على أنه واحد.
وأنا المجيب بهذا واحد من ذلك العالم، وإذا كان ربى وجوب على أن
أعبده وحده.

(٢) أي إذا قيل لك : بأي شيء عرفت الله عز وجل ؟
فقل : عرفته بآياته وخلوقاته .

(٣) الآيات : جمع آية وهي العلامة على الشيء التي تدل عليه وتبينه .
وآيات الله تعالى نوعان : كونية وشرعية ، فالكونية هي المخلوقات ،
والشرعية هي الوحي الذي أنزله الله على رسle ، وعلى هذا يكون قول
المؤلف رحمه الله «بآياته وخلوقاته» من باب عطف الخاص على العام إذا
فسرنا الآيات بأنها الآيات الكونية والشرعية ، أو من باب عطف المبادر
المغاير إذا خصصنا الآيات بالآيات الشرعية . وعلى كل فالله عز وجل
يعرف بآياته الكونية وهي المخلوقات العظيمة وما فيها من عجائب
الصنعة وبالغ الحكمة ، وكذلك يعرف بآياته الشرعية وما فيها من العدل ،
والاشتمال على المصالح ، ودفع المفاسد .

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

(٤) كل هذه من آيات الله الدالة على كمال القدرة ، وكمال الحكمة ، وكمال

.....

الرحمة ، فالشمس آية من آيات الله عز وجل لكونها تسير سيراً منتظمًا بدليعاً منذ خلقها الله عز وجل وإلى أن يأذن الله تعالى بخراب العالم ، فهي تسير لمستقر لها كما قال تعالى : ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقْرٍ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ [سورة يس ، الآية : ٣٨] وهي من آيات الله تعالى بحجمها وأثارها ، أما حجمها فعظيم كبير ، وأما أثارها فما يحصل منها من المنافع للأجسام والأشجار والأنهار والبحار وغير ذلك ، فإذا نظرنا إلى الشمس هذه الآية العظيمة ما مدى البعد الذي بيننا وبينها ومع ذلك فإننا نجد حرارتها هذه الحرارة العظيمة ، ثم انظر ماذا يحدث فيها من الإضاءة العظيمة التي يحصل بها توفير أموال كثيرة على الناس فإن الناس في النهار يستغنون عن كل إضاءة ويحصل بها مصلحة كبيرة للناس من توفير أموالهم ويعدها من الآيات التي لا ندرك إلا اليسيء منها .

كذلك القمر من آيات الله عز وجل حيث قدره منازل لكل ليلة منزلة ﴿ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعَرْجُونَ الْقَدِيرِ ﴾ [سورة يس ، الآية : ٣٩] فهو يبدو صغيراً ثم يكبر رويداً حتى يكمل ثم يعود إلى النقص ، وهو يشبه الإنسان حيث أنه يخلق من ضعف ثم لا يزال يترقى من قوة إلى قوة حتى يعود إلى الضعف مرة أخرى فتبارك الله أحسن الخالقين .

والدَّلِيلُ^(١) قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَمِنْ ءَايَتِهِ الَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالقَمَرُ لَا سَجَدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَأَسْجَدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيمَانَكُمْ تَعْبُدُونَ ﴾ [سورة فصلت، الآية: ٣٧] وَقَوْلُهُ^(٢) تَعَالَى :

﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي الَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثِ شَاءَ وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِإِرْزِقٍ هُنَّ لَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ٥٤].

(١) أي والدليل على أن الليل والنهار، والشمس والقمر من آيات الله عز وجل قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَتِهِ الَّيْلُ وَالنَّهَارُ ﴾ ... إلخ أي من العلامات البينة المبينة لمدلولها الليل والنهار في ذاتهما واحتلافيهما، وما أودع الله فيما من صالح العباد وتقلبات أحوالهم، وكذلك الشمس والقمر في ذاتهما وسيرهما وانتظامهما وما يحصل بذلك من صالح العباد ودفع مضارهم.

ثم نهى الله تعالى العباد أن يسجدوا للشمس أو القمر وإن بلغا مبلغا عظيما في نفوسهم لأنهما لا يستحقان العبادة لكونهما مخلوقين ، وإنما المستحق للعبادة هو الله تعالى الذي خلقهن .

(٢) وقوله أي من الأدلة على أن الله خلق السموات والأرض قوله تعالى :

﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ الآية وفيها من آيات الله :

أولاً: إن الله خلق هذه المخلوقات العظيمة في ستة أيام ولو شاء خلقها

.....

بلحظة ولكنه ربط المسببات بأسبابها كما تقتضيه حكمته.

ثانياً: أنه استوى على العرش أي علا عليه علواً خاصاً به كما يليق بجلاله وعظمته وهذا عنوان كمال الملك والسلطان.

ثالثاً: أنه يغشى الليل النهار أن يجعل الليل غشاء للنهار، أي غطاء له فهو كالثوب يسدل على ضوء النهار فيغطيه.

رابعاً: أنه جعل الشمس والقمر والنجم مذلالات بأمره جل سلطانه يأمرهن بما يشاء لصلاحة العباد.

خامساً: عموم ملكه وتمام سلطانه حيث كان له الخلق والأمر لا غيره.

سادساً: عموم ربويته للعالمين كلهم.

* * *

وَالرَّبُّ هُوَ الْمَعْبُودُ^(١)، وَالدَّلِيلُ^(٢) قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ يَنَّا يَهَا أَنَّاسُ^(٣) أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ^(٤) وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَفَوَّنَ^(٥) الَّذِي

(١) يشير المؤلف رحمة الله تعالى إلى قول الله عز وجل : **﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي الْأَيَّلَهُ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ شَاءَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٍ بِإِمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ بَسَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمَيْنَ﴾** [سورة الأعراف ، الآية : ٢٥٤] فالرب هو المعبود أي هو الذي يستحق أن يعبد، أو هو الذي يعبد لاستحقاقه للعبادة، وليس المعنى أن كل من عبد فهو رب فالآلهة التي تعبد من دون الله واتخذها عبادوها أرباباً من دون الله ليست أرباباً.

والرب هو : الخالق، المالك، المدبّر لجميع الأمور .

(٢) أي الدليل على أن الرب هو المستحق للعبادة .

(٣) النداء موجه لجميع الناس منبني آدم أمرهم الله عز وجل أن يعبدوه وحده لا شريك له فلا يجعلوا له أنداداً، ويبين أنه إنما استحق العبادة لكونه هو الخالق وحده لا شريك له .

(٤) قوله **﴿ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾** هذه صفة كاشفة تعلل ما سبق أي اعبدوه لأنه ربكم الذي خلقكم فمن أجل كونه الرب الخالق كان لزاماً عليكم أن تعبدوه، ولهذا نقول يلزم كل من أقر بربوبية الله أن يعبدوه وحده وإلا كان متناقضاً .

(٥) أي من أجل أن تحصلوا على التقوى ، والتقوى هي اتخاذ وقاية من عذاب الله عز وجل بإتباع أوامره واجتناب نواهيه .

جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا^(١) وَالسَّمَاءَ بَنَاءً^(٢) وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً^(٣) فَأَخْرَجَ
بِهِ مِنَ الشَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ^(٤) فَلَا تَحْمِلُوا اللَّهَ أَنْدَادًا^(٥) وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ^(٦)

[سورة البقرة، الآيتين : ٢١ ، ٢٢].

(١) أي جعلها فراشاً ومهاداً نستمتع فيها من غير مشقة ولا تعب كما ينام الإنسان على فراشه.

(٢) أي فوقنا لأن البناء يصير فوق السماء بناء لأهل الأرض وهي سقف محفوظ كما قال الله تعالى : « وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُظًا وَهُمْ عَنْ إِيَّاهَا مُعْرِضُونَ » [سورة الأنبياء ، الآية : ٣٢].

(٣) أي أنزل من العلو من السحاب ماءً طهوراً كما قال تعالى : « لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ شَيْمُونٌ » [سورة النحل ، الآية : ١٠].

(٤) أي عطاء لكم وفي آية أخرى : « مَتَعَالَّمُونَ لَكُمْ وَلَا تَعْنِيكُمْ » [سورة النازعات ، الآية : ٣٣].

(٥) أي لا تجعلوا لهذا الذي خلقكم ، وخلق الدين من قبلكم ، وجعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناء ، وأنزل لكم من السماء ماءً فاخبر به من الشمرات رزقاً لكم لا تجعلوا له أنداداً تعبدونها كما تعبدون الله ، أو تحبونها كما تحبون الله فإن ذلك غير لائق بكم لا عقلاً ولا شرعاً.

(٦) أي تعلمون أنه لا ند له وأنه بيده الخلق والرزق والتدبير فلا تجعلوا له شريكاً في العبادة .

قال ابن كثير - رحمة الله تعالى^(١) : «الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة» .

وأنواع العبادة التي أمر الله بها^(٢) : مثل الإسلام، والإيمان،

(١) هو عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي الحافظ المشهور صاحب التفسير والتاريخ من تلاميذ شيخ الإسلام ابن تيمية توفي سنة أربع وسبعين وسبعمائة .

(٢) لما بين المؤلف رحمة الله تعالى أن الواجب علينا أن نعبد الله وحده لا شريك له ، بين فيما يأتي شيئاً من أنواع العبادة فقال : وأنواع العبادة مثل الإسلام ، والإيمان ، والإحسان .

وهذه الثلاثة الإسلام ، والإيمان ، والإحسان هي الدين كما جاء ذلك فيما رواه مسلم من حديث عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال : « بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركتبه إلى ركتبيه ، ووضع كفيه على فخدبيه ، قال : يا محمد أخبرني عن الإسلام؟ فقال رسول الله ﷺ : الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتوقي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحجج البيت إن استطعت إليه سبيلاً . قال صدقت . قال : فعجبنا له يسأله ويصدقه . قال : فأخبرني عن الإيمان؟ قال : أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتومن بالقدر خيره وشره . قال : صدقت . قال : فأخبرني عن الإحسان؟ قال : أن تعبد الله كأنك تراه

وَالْإِحْسَانِ؛ وَمِنْهُ الدُّعَاءُ، وَالْخَوْفُ، وَالرَّجَاءُ، وَالْتَّوْكُلُ، وَالرَّغْبَةُ، وَالرَّهْبَةُ، وَالخُشُوعُ، وَالخُشْبَةُ، وَالإِنَابَةُ، وَالإِسْتِعَاذَةُ، وَالإِسْتِغَاذَةُ، وَالإِسْتِغَاثَةُ، وَالذَّبْحُ، وَالذَّدْرُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بِهَا كُلُّهَا لِلَّهِ تَعَالَى^(١). وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : « وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا » [سورة الجن، الآية: ١٨]، فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا لِغَيْرِ اللَّهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : « وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا أَخْرَ لَا يُرْهِنَ لَهُ بِهِ، فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّمَا لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ »^(٢) [سورة المؤمنون، الآية: ١١٧].

فإن لم تكن تراه فإنه يراك. قال : فأخبرني عن الساعة؟ قال : ما المسؤول عنها بأعلم من السائل . قال فأخبرني عن إماراتها؟ قال : أن تلد الأمة ربها ، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاه يتطاولون في البنيان ، ثم انطلق فلبثت مليا ثم قال لي يا عمر : أتدري من السائل؟ قلت الله ورسوله أعلم . قال : فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم^(١) فجعل النبي ﷺ هذه الأشياء هي الدين وذلك أنها متضمنة للدين كله .

(١) أي كل أنواع العبادة مما ذكر وغيره لله وحده لا شريك له فلا يحل صرفها لغير الله تعالى .

(٢) ذكر المؤلف رحمه الله تعالى جملة من أنواع العبادة وذكر أن من صرف منها شيئاً لغير الله فهو مشرك كافر واستدل بقوله تعالى : « وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ

(١) تقدم تخریجه ص ٤٠ ، وانظر : شرح الحديث في «مجموع الفتاوى والرسائل» لفضيلة شيخنا - حفظه الله ورعاه - المجلد الثالث ، ص ١٤٥ .

وفي الحديث: «الدُّعَاءُ مُنْهُ لِلْعِبَادَةِ». والدليل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنِ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاهِرِينَ﴾^(١) [سورة غافر، الآية: ٦٠].

فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا» وبقوله: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًاٌ أَخْرَ لَا بُرْهَنَ لَهُ بِهِ، فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّمَا لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ ووجه الدلالة من الآية الأولى أن الله تعالى أخبر أن المساجد وهي مواضع السجود أو أعضاء السجود لله ورتب على ذلك قوله: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ أي لا تعبدوا معه غيره فتسجدوا له، ووجه الدلالة من الآية الثانية بأن الله سبحانه وتعالى بين أن من يدعوه مع الله إله آخر فإنه كافر لأنه قال: ﴿إِنَّمَا لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ وفي قوله: ﴿لَا بُرْهَنَ لَهُ بِهِ﴾ إشارة إلى أنه لا يمكن أن يكون برهان على تعدد الألهة بهذه الصفة ﴿لَا بُرْهَنَ لَهُ بِهِ﴾ صفة كاشفة مبينة للأمر وليس صفة مقيدة تخرج ما فيه برهان لأنه لا يمكن أن يكون برهان على أن مع الله إله آخر.

(١) هذا شروع من المؤلف رحمه الله تعالى في أدلة أنواع العبادة التي ذكرها في قوله: « وأنواع العبادة التي أمر الله بها مثل الإسلام والإيمان والإحسان ومنه الدعاء . . . ». إلخ، فبدأ رحمه الله بذكر الأدلة على الدعاء وسيأتي إن شاء الله تفصيل أدلة الإسلام والإيمان والإحسان. واستدل المؤلف رحمه الله بما يروى عن النبي ﷺ، أنه قال: «الدُّعَاءُ مُنْهُ لِلْعِبَادَةِ»^(١) واستدل كذلك بقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنِ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاهِرِينَ﴾ فدلت الآية

(١) أخرجه الترمذى، كتاب الدعوات، باب: فضل الدعاء. وقال: حديث غريب من هذا الوجه.

وَدَلِيلُ الْخَوْفِ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾^(١)

[سورة آل عمران، الآية: ١٧٥] ،

الكريمة على أن الدعاء من العبادة ولو لا ذلك ما صح أن يقال: **﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنِ عِبَادَتِي سَيَدِ الْجُلُونَ جَهَنَّمَ دَاهِرِينَ﴾** فمن دعا غير الله عز وجل بشيء لا يقدر عليه إلا الله فهو مشرك كافر سواء كان المدعو حياً أو ميتاً. ومن دعا حياً بما يقدر عليه مثل أن يقول يا فلان اطعني، يا فلان اسكنني فلا شيء فيه، ومن دعا ميتاً أو غائباً بمثل هذا فإنه مشرك لأن الميت أو الغائب لا يمكن أن يقوم بمثل هذا فدعاؤه إياه يدل على أنه يعتقد أن له تصرفًا في الكون فيكون بذلك مشركاً.

واعلم أن الدعاء نوعان: دعاء مسألة، ودعاء عبادة.

فدعاء المسألة هو دعاء الطلب أي طلب الحاجات وهو عبادة إذا كان من العبد لربه، لأنها يتضمن الإفتقار إلى الله تعالى واللجوء إليه، واعتقاد أنه قادر كريم واسع الفضل والرحمة. ويجوز إذا صدر من العبد مثله من المخلوقين إذا كان المدعو يعقل الدعاء ويقدر على الإجابة كما سبق في قول القائل يا فلان اطعني.

وأما دعاء العبادة فأن يتبعده به للمدغو طلباً لثوابه وخوفاً من عقابه وهذا لا يصح لغير الله وصرفة لغير الله شرك أكبر مخرج عن الملة وعليه يقع الوعيد في قوله تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنِ عِبَادَتِي سَيَدِ الْجُلُونَ جَهَنَّمَ دَاهِرِينَ﴾** [سورة غافر، الآية: ٦٠].

(١) الخوف هو الذعر وهو انفعال يحصل بتوقع ما فيه هلاك أو ضرار أو أذى، وقد نهى الله سبحانه وتعالى عن خوف أولياء الشيطان وأمر بخوفه وحده.

وَدَلِيلُ الرَّجَاءِ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلَيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلَا يُشِّرِّكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾^(١) [سورة الكهف، الآية: ١١٠]

والخوف ثلاثة أنواع :

النوع الأول: خوف طبيعي كخوف الإنسان من السبع والنار والغرق وهذا لا يلام عليه العبد قال الله تعالى عن موسى عليه الصلاة والسلام : ﴿فَأَصَبَّهُ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَرْقَبُ﴾ [سورة القصص ، الآية: ١٨] لكن إذا كان هذا الخوف كما ذكر الشيخ رحمه الله سبباً لترك واجب أو فعل حرام ودليل قوله تعالى : ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ [سورة آل عمران ، الآية: ١٧٥] .

والخوف من الله تعالى يكون محموداً، ويكون غير محمود.

فالمحمود ما كانت غايته أن يحول بينك وبين معصية الله بحيث يحملك على فعل الواجبات وترك المحرمات، فإذا حصلت هذه الغاية سكن القلب واطمأن وغلب عليه الفرج بنعمة الله ، والرجاء لثوابه .

وغير المحمود ما يحمل العبد على اليأس من روح الله والقنوط وحيئذ يتسرع العبد وينكمش وربما يتمادي في المعصية لقوة يأسه .

النوع الثاني: خوف العبادة أن يخاف أحداً يتبع بالخوف له فهذا لا يكون إلا لله تعالى . وصرفه لغير الله تعالى شرك أكبر .

النوع الثالث: خوف السر كأن يخاف صاحب القبر ، أو ولينا بعيداً عنه لا يؤثر فيه لكنه يخافه مخافة سرّ فهذا أيضاً ذكره العلماء من الشرك .

(١) الرجاء طمع الإنسان في أمر قريب المنال ، وقد يكون في بعيد المنال

وَدَلِيلُ التَّوْكِلِ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ [سورة المائدة، الآية: ٢٣] ، وَقَالَ : ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ [١] [سورة الطلاق، الآية: ٣]

تنزيلاً له منزلاً القريب .

والرجاء المتضمن للذل والخضوع لا يكون إلا لله عز وجل وصرفه لغير الله تعالى شرك إما أصغر، وإما أكبر بحسب ما يقوم بقلب الراجي . وقد استدل المؤلف بقوله تعالى : ﴿فَنَّ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلَيَعْمَلْ عَهْلًا صَنِيلًا حَاوِلًا مُّشِيرًا بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ .

واعلم أن الرجاء المحمود لا يكون إلا لمن عمل بطاعة الله ورجا ثوابها، أو تاب من معصيته ورجا قبول توبته، فأما الرجاء بلا عمل فهو غرور وتمن مذموم .

(١) التوكل على الشيء الإعتماد عليه . والتوكيل على الله تعالى : الإعتماد على الله تعالى كفاية وحسباً في جلب المنافع ودفع المضار وهو من تمام الإيمان وعلاماته لقوله تعالى : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ وإنما صدق العبد في اعتماده على الله تعالى كفاه الله تعالى ما أهله لقوله تعالى : ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ أي كافيه ثم طمأن المتوكيل بقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ ﴾ [سورة الطلاق، الآية: ٣] فلا يعجزه شيء أراده .

واعلم أن التوكيل أنواع :

الأول : التوكل على الله تعالى وهو من تمام الإيمان وعلامات صدقه

وَدَلِيلُ الرَّغْبَةِ^(١) وَالرَّهْبَةِ^(٢) وَالْخُشُوعِ^(٣) قَوْلُهُ تَعَالَى : « إِنَّهُمْ كَانُوا

وهو واجب لا يتم الإيمان إلا به وبسبق دليله .

الثاني : توكل السر بأن يعتمد على ميت في جلب منفعة ، أو دفع مضره فهذا شرك أكبر ؛ لأنه لا يقع إلا من يعتقد أن لهذا الميت تصرفاً سرياً في الكون ، ولا فرق بين أن يكوننبياً ، أو وليناً ، أو طاغوتاً عدوا الله تعالى .

الثالث : التوكل على الغير فيما يتصرف فيه الغير مع الشعور بعلو مرتبته وانحطاط مرتبة المتوكلا عنه مثل أن يعتمد عليه في حصول المعاش ونحوه فهذا نوع من الشرك الأصغر لقوة تعلق القلب به والإعتماد عليه . أما لو اعتمد عليه على أنه سبب وأن الله تعالى هو الذي قدر ذلك على يده فإن ذلك لا بأس به ، إذا كان للمتوكل عليه أثر صحيح في حصوله .

الرابع : التوكل على الغير فيما يتصرف فيه المتوكلا بحيث ينبع غيره في أمر تجوز فيه النيابة فهذا لا بأس به بدلالة الكتاب ، والسنن ، والإجماع فقد قال يعقوب لبنيه ﴿ يَبْنِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ ﴾ [سورة يوسف] الآية : ٨٧] ووكل النبي ﷺ ، على الصدقة عملاً وحفظاً ، ووكل في إثبات الحدود وإقامتها ، ووكل علي بن أبي طالب رضي الله عنه في هديه في حجة الوداع أن يتصدق بجلودها وجلالها ، وأن ينحر ما بقي من المئة بعد أن نحر عليه السلام بيده ثلاثة وستين . وأما الإجماع على جواز ذلك فمعلوم من حيث الجملة .

(١) الرغبة : حبة الوصول إلى الشيء المحبوب .

(٢) والرعب : الخوف المثار للهرب من المخوف فهي خوف مقررون بعمل .

(٣) الخشوع : الذل والتطامن لعظمته الله بحيث يستسلم لقضاءاته الكوني والشرعى .

سُرْعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَ كَا رَغْبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خَلِّيْعِينَ ﴿١﴾ [سورة الأنبياء، الآية: ٩٠].

وَلَلَّيْلُ الْخَشِيْةُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿فَلَا تَخْشُوهُمْ وَأَخْشَوْنِي﴾ ﴿٢﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٥٠]

(١) في هذه الآية الكريمة وصف الله تعالى الخلوص من عباده بأنهم يدعون الله تعالى رغبًا ورهبًا مع الخشوع له ، والدعاء هنا شامل لدعاء العبادة ودعاء المسألة ، فهم يدعون الله رغبة فيما عنده وطعمًا في ثوابه مع خوفهم من عقابه وأثار ذنوبهم ، والمؤمن ينبغي أن يسعى إلى الله تعالى بين الخوف والرجاء ، ويغلب الرجاء في جانب الطاعة لينشط عليها ويفعل قبولها ، ويغلب الخوف إذا هم بالمعصية ليهرب منها وينجو من عقابها .

وقال بعض العلماء: يغلب جانب الرجاء في حال المرض وجانب الخوف في حال الصحة؛ لأن المريض منكسر ضعيف النفس وعسى أن يكون قد اقترب أجله فيموت وهو يحسن الظن بالله عز وجل ، وفي حال الصحة يكون نشيطاً مؤملاً طول البقاء فيحمله ذلك على الأشر والبطر فيغلب جانب الخوف ليسلم من ذلك .

وقيل يكون رجاؤه وخوفه واحداً سواء لئلا يحمله الرجاء على الأمان من مكر الله ، والخوف على اليأس من رحمة الله وكلاهما قبيح مهلك لصاحبيه .

(٢) الخشية هي : الخوف المبني على العلم بعظمة من يخشاه وكمال سلطانه لقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [سورة فاطر، الآية: ٢٨] أي العلماء بعظمته وكمال سلطانه فهي أخص من الخوف ، ويتبين الفرق بينهما بالمثال فإذا خفت من شخص لا تدرى هل هو قادر عليك أم

وَدَلِيلُ الْإِنَابَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَأَنِيبُوا إِلَيَّ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لِهِ ﴾^(١) [سورة الزمر، الآية: ٥٤].

لا فهذا خوف ، وإذا خفت من شخص تعلم أنه قادر عليك فهذهخشية .
ويقال في أقسام أحكام الخشية ما يقال في أقسام أحكام الخوف .

(١) الإنابة الرجوع إلى الله تعالى بالقيام بطاعته واجتناب معصيته وهي قريبة من معنى التوبة إلا أنها أرق منها لما تشعر به من الاعتماد على الله واللجوء إليه ولا تكون إلا لله تعالى دليلاً لها قوله تعالى : ﴿ وَأَنِيبُوا إِلَيَّ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لِهِ ﴾ .

والمراد بقوله تعالى : ﴿ وَأَسْلِمُوا لِهِ ﴾ الإسلام الشرعي وهو الاستسلام لأحكام الله الشرعية وذلك أن الإسلام الله تعالى نوعان :

الأول : إسلام كوني وهو الاستسلام لحكمه الكوني وهذا عام لكل من في السموات والأرض من مؤمن وكافر ، وبر وفاجر لا يمكن لأحد أن يستكبر عنه دليلاً له قوله تعالى : ﴿ وَلَهُمْ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوَّعًا وَكَرَهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٨٣].

الثاني : إسلام شرعي وهو الاستسلام لحكمه الشرعي وهذا خاص بمن قام بطاعته من الرسل وإتباعهم بإحسان ، ودليله في القرآن كثير ومنه هذه الآية التي ذكرها المؤلف رحمه الله .

وَدَلِيلُ الْإِسْتِعَانَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى : « إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ». [سورة الفاتحة، الآية: ٥] ، وَفِي الْحَدِيثِ : * « إِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ »^(١).

(١) الإِسْتِعَانَةُ طَلْبُ الْعُونِ وَهِيَ أَنْوَاعٌ :

الْأُولُّ : الإِسْتِعَانَةُ بِاللَّهِ وَهِيَ : الإِسْتِعَانَةُ الْمُتَضْمِنَةُ لِكَمَالِ الدَّلِيلِ مِنَ الْعَبْدِ لِرَبِّهِ، وَتَفْوِيسِ الْأُمْرِ إِلَيْهِ، وَاعْتِقَادِ كَفَائِيَّتِهِ وَهَذِهِ لَا تَكُونُ إِلَّا لِلَّهِ تَعَالَى وَدَلِيلُهَا قَوْلُهُ تَعَالَى : « إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ». وَوِجْهُ الْإِخْتِصَاصِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدَّمَ الْمُعْمُولَ « إِيَّاكَ » وَقَاعِدَةُ الْلُّغَةِ الَّتِي نَزَّلَ بِهَا الْقُرْآنَ أَنَّ تَقْدِيمَ مَا حَقُّهُ التَّأْخِيرِ يَفِيدُ الْحَصْرَ وَالْإِخْتِصَاصَ وَعَلَى هَذَا يَكُونُ صَرْفُ هَذَا النُّوْعَ لِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى شُرُكًا مُخْرَجًا عَنِ الْمَلَةِ.

الثَّانِي : الإِسْتِعَانَةُ بِالْمُخْلُوقِ عَلَى أَمْرٍ يَقْدِرُ عَلَيْهِ فَهَذِهِ عَلَى حِسْبِ الْمُسْتَعَانِ عَلَيْهِ فَإِنْ كَانَتْ عَلَى بَرِّ فَهِيَ جَائِزَةُ الْمُسْتَعِينِ مُشْرُوعَةُ الْمُعِينِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : « وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالنَّقْوَى » [سورة المائدة، الآية: ٢].

وَإِنْ كَانَتْ عَلَى إِثْمٍ فَهِيَ حَرَامٌ عَلَى الْمُسْتَعِينِ وَالْمُعِينِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : « وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْمَدْوَنِ » [سورة المائدة، الآية: ٢].

وَإِنْ كَانَتْ عَلَى مَبَاحٍ فَهِيَ جَائِزَةُ الْمُسْتَعِينِ وَالْمُعِينِ لَكِنَّ الْمُعِينَ قَدْ يَثَابُ عَلَى ذَلِكَ ثَوَابُ الْإِحْسَانِ إِلَى الْغَيْرِ وَمَنْ ثُمَّ تَكُونُ فِي حَقِّهِ مُشْرُوعَةُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : « وَأَخْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ » [سورة البقرة، الآية: ١٩٥].

الثَّالِثُ : الإِسْتِعَانَةُ بِمُخْلُوقٍ حَيٍّ حَاضِرٍ غَيْرُ قَادِرٍ فَهَذِهِ لِغُوٌّ لَا طَائِلٌ تَحْتَهَا مَثَلٌ أَنْ يَسْتَعِينَ بِشَخْصٍ ضَعِيفٍ عَلَى حَمْلِ شَيْءٍ ثَقِيلٍ.

* أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ ١/٢٩٣، وَالْتَّرْمِذِيُّ ٤/٥٧٥.

وَدَلِيلُ الْإِسْتِعَاذَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [سورة الفلق، الآية: ١] ، وَ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾^(١) [سورة الناس، الآية: ١].

الرابع: الإستعاذه بالأموات مطلقاً أو بالأحياء على أمر غائب لا يقدرون على مباشرته فهذا شرك لأنه لا يقع إلا من شخص يعتقد أن لهؤلاء تصرفاً خفيأ في الكون.

الخامس: الإستعاذه بالأعمال والأحوال المحبوبة إلى الله تعالى وهذه مشروعة بأمر الله تعالى في قوله: ﴿أَسْتَعِينُوا بِالصَّابِرِ وَالصَّلَوةِ﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٥٣].

وقد استدل المؤلف رحمه الله تعالى للنوع الأول بقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [سورة الفاتحة، الآية: ٤] وقوله عَزَّلَهُمْ: «إذا استعنتم فاستعن بالله». ^(١)

(١) الإستعاذه: طلب الإعازة والإعازة الحماية من مكروه فالمستعيد محتمٍ بمن استعاد به ومعتصم به والاستعاذه أنواع:

الأول: الإستعاذه بالله تعالى وهي المتضمنة لكمال الافتقار إليه والإعتماد به واعتقاد كفايته وتمام حمايته من كل شيء حاضر أو مستقبل، صغير أو كبير، بشر أو غير بشر ودليلها قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ إلى آخر السورة وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِنَّهُ أَنَّاسٌ مِنْ شَرِّ أَنْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ إلى آخر السورة.

(١) تقدم قريباً.

الثاني: الإستعاذه بصفة من صفاته ككلامه وعظمته وعزته ونحو ذلك ودليل ذلك قوله ﷺ: «أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق»^(١) وقوله: «أعوذ بعظمتك أن اغتال من تحتي»^(٢) وقوله: في دعاء الألم «أعوذ بعز الله وقدره من شر ما أجد وأحاذر»^(٣)، وقوله: «أعوذ برضاك من سخطك»^(٤) ، وقوله ﷺ حين نزل قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَعْثَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ٦٥] فقال: «أعوذ بوجهك»^(٥).

الثالث: الإستعاذه بالأموات أو بالأحياء غير الحاضرين القادرين على العوذ فهذا شرك ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنْسِينَ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهْقًا﴾ [سورة الجن، الآية: ٦].

الرابع: الإستعاذه بما يمكن العوذ به من المخلوقين من البشر أو الأماكن أو غيرها فهذا جائز ودليله قوله ﷺ في ذكر الفتنة: «من تشرف لها تستشرفه ومن وجد ملجاً أو معاذاً فليعدبه»^(٦) متفق عليه وقد بين ﷺ هذا الملجاً والمعاذ بقوله: «فمن كان له إيلٌ فليلحق بإيله» الحديث رواه مسلم، وفي صحيحه أيضاً عن جابر رضي الله عنه أن امرأة من بنى مخزوم سرقت فأتى

(١) أخرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره.

(٢) أخرجه الإمام أحمد ٢٥ / ٢، والنسائي ٨ / ٦٧٧.

(٣) أخرجه الإمام أحمد ٤ / ٤، ٢١٧، وأبو داود (٣٨٩١)، وابن ماجه (٢٥٢٢).

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الصلاة، باب: ما يقال في الركوع والسجود.

(٥) أخرجه البخاري، كتاب الإعتصام، باب: قوله تعالى: «أو يلبسكم شيئاً».

(٦) أخرجه البخاري، كتاب الفتنة، باب: تكون الفتنة القاعد فيها خير من القائم. ومسلم، كتاب الفتنة، باب: نزول الفتنة كموقع القطر.

وَدِلِيلُ الْإِسْتِغَاةِ قَوْلُهُ تَعَالَى : « إِذْ تَسْتَغْيِثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ »^(١)
[سورة الأنفال، الآية: ٩].

بها أرزي عليه السلام فعاذت بأم سلمة^(١). الحديث، وفي صحيحه أيضًا عن أم سلمة رضي الله عنها عن النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه قال: « يعود عائد بالبيت فيبعث إليه بعث^(٢) ». الحديث.

ولكن إن استعاذه من شر ظالم وجب إيواؤه وإنعاذه بقدر الإمكان، وإن استعاذه ليتوصل إلى فعل مخظور أو الهرب من واجب حرم إيواؤه.

(١) الإستغاثة طلب الغوث وهو الانقاد من الشدة والهلاك، وهو أقسام:

الأول: الإستغاثة بالله عز وجل وهذا من أفضل الأعمال وأكملها وهو دأب الرسل وأتباعهم، ودليله ما ذكره الشيخ رحمه الله « إِذْ تَسْتَغْيِثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَفَمُؤْمِنُكُمْ بِأَلْفِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ » وكان ذلك في غزوة بدر حين نظر النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه، إلى المشركين في ألف رجل وأصحابه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً فدخل العريش يناشد ربه عز وجل رافعًا يديه مستقبل القبلة يقول: « اللهم انجز لي ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تبعد في الأرض »^(٣) وما زال يستغيث بربه رافعًا يديه حتى سقط رداءه عن منكبيه فأخذ أبو بكر رضي الله عنه رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه، وقال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك فأنزل الله هذه الآية.

(١) رواه مسلم، كتاب الحدود، باب: قطع السارق الشريف وغيره.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الفتنة، باب: الخسف بالجيش الذي يوم البيت.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الجهاد، باب: الإمداد بالملائكة في غزوة بدر.

وَدِلِيلُ الذَّبْحِ قَوْلُهُ تَعَالَى : « قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِقِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ »^(١) [سورة الأنعام، الآيتين: ١٦٢، ١٦٣] ، وَمِنَ الشَّتَّةِ : « لَعْنَ اللَّهِ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ ». *

الثاني: الإستغاثة بالأموات أو بالأحياء غير الحاضرين القادرين على الإغاثة فهذا شرك؛ لأنّه لا يفعله إلا من يعتقد أن لهؤلاء تصرفًا خفيًا في الكون فيجعل لهم حظاً من الربوبية قال الله تعالى: « أَمَّنْ يُحِبِّبُ الْمُضْطَرَ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خَلَفَاءَ الْأَرْضِ أَئِ لَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا نَذَكَرُونَ » [سورة النمل، الآية: ٦٢].

الثالث: الإستغاثة بالأحياء العالمين القادرين على الإغاثة فهذا جائز كالاستغاثة بهم قال الله تعالى في قصة موسى: « فَاسْتَغْاثَهُ اللَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ » [سورة القصص، الآية: ١٥].

الرابع: الإستغاثة بحبي غير قادر من غير أن يعتقد أن له قوة خفية مثل أن يستغيث الغريق برجل مسلول فهذا لغو وسخرية بمن استغاث به فيمنع منه لهذه العلة، ولعلة أخرى وهي الغريق ربما اغتر بذلك غيره فتوهم أن لهذا المسلح قوة خفية ينقد بها من الشدة.

(١) الذبح إزهاق الروح بإراقة الدم على وجه مخصوص ويقع على وجوهه:
الأول: أن يقع عبادة بأن يقصد به تعظيم المذبوح له والتذلل له والتقرب إليه فهذا لا يكون إلا لله تعالى على الوجه الذي شرعه الله تعالى، وصرفه غير الله شرك أكبر ودليله ما ذكره الشيخ رحمه الله وهو قوله تعالى: « قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِقِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ ».

* أخرجه مسلم، كتاب الأضاحي، باب: تحريم الذبح لغير الله تعالى ولعن فاعله.

وَدَلِيلُ النَّذْرِ^(١) قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿يُوقِنُ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾^(٢)

[سورة الإنسان، الآية: ٧]

الثاني: أن يقع إكراماً لضيف أو وليمة لعرس أو نحو ذلك فهذا مأمور به إما وجوباً أو استحباباً لقوله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه»^(١) وقوله ﷺ لعبد الرحمن بن عوف «أولم ولو بشاة»^(٢).

الثالث: أن يقع على وجه التمتع بالأكل أو الإتجار به ونحو ذلك فهذا من قسم المباح فالالأصل فيه الإباحة لقوله تعالى: ﴿أَوْلَئِرِ يَرَوْا أَنَا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلْتُ أَيْدِيهِنَّا أَنْعَدْنَا فَهُمْ لَهَا مَنْلِكُونَ * وَذَلِكُنَّهَا لَهُمْ فِيمَنَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾ [سورة يس، الآيتين: ٧١، ٧٢] وقد يكون مطلوبًا أو منهياً عنه حسبما يكون وسيلة له.

(١) أي دليل كون النذر من العبادة قوله تعالى: ﴿يُوقِنُ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾.

(٢) وجہ الدلالة من الآیۃ أن الله أثنى عليهم لإيقائهم النذر وهذا يدل على أن الله يحب ذلك ، وكل محبوب لله من الأعمال فهو عبادة .
ويؤيد ذلك قوله : ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ .

واعلم أن النذر الذي امتدح الله تعالى هؤلاء القائمين به هو جميع العبادات التي فرضها الله عز وجل فإن العبادات الواجبة إذا شرع فيها

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره .
ومسلم، كتاب اللقطة، باب: الضيافة ونحوها .

(٢) أخرجه البخاري، كتاب البيوع، باب: ما جاء في قوله تعالى: «فإذا قضت الصلاة». مسلم ،
كتاب النكاح، باب: الصداق وجواز كونه تعليم القرآن وخاتم حديث .

الأَصْلُ الثَّانِيُّ^(١) : مَعْرِفَةُ دِينِ الْإِسْلَامَ، بِالْأَدِلَّةِ . وَهُوَ: الْإِسْتِسْلَامُ^(٢)
لِلَّهِ بِالْتَّوْحِيدِ^(٣)

الإِنْسَانُ فَقَدِ التَّزَمَ بِهَا وَدَلِيلُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ ثُمَّ لَيَقْضُوا نَفَثَتْهُمْ
وَلَيُوْفُوا نُذُورَهُمْ وَلَيَطْوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ [سُورَةُ الْحَجَّ، الْآيَةُ: ٢٩].

وَالنَّذْرُ الَّذِي هُوَ إِلْزَامُ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ مَا، أَوْ طَاعَةُ اللَّهِ غَيْرُ وَاجِبَةٍ
مَكْرُوهَهُ، وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ إِنَّهُ مُحْرَمٌ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، نَهَى عَنِ النَّذْرِ وَقَالَ:
«إِنَّهُ لَا يَأْتِي بِخَيْرٍ وَإِنَّمَا يَسْتَخْرُجُ بِهِ مِنَ الْبَخِيلِ»^(١) وَمَعَ ذَلِكَ إِنَّذْرَ
الْإِنْسَانَ طَاعَةَ اللَّهِ وَجَبَ عَلَيْهِ فَعَلَهَا لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «مَنْ نَذَرَ أَنْ يَطِيعَ اللَّهَ
فَلَا يُطِيعُهُ»^(٢).

وَالخَلاصَةُ أَنَّ النَّذْرَ يَطْلُقُ عَلَى الْعِبَادَاتِ الْمُفْرُوضَةِ عَمومًا، وَيَطْلُقُ عَلَى
النَّذْرِ الْخَاصِّ وَهُوَ إِلْزَامُ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَقَدْ قَسَمَ الْعُلَمَاءُ
النَّذْرِ الْخَاصِّ إِلَى أَقْسَامٍ وَمُحْلِّ بِسْطَهَا كُتُبُ الْفَقِيرِ.

(١) أي من الأصول الثلاثة: معرفة دين الإسلام بالأدلة يعني أن يعرف دين الإسلام بأدله من الكتاب والسنة.

(٢) دين الإسلام وإن شئت فقل الإسلام هو «الاستسلام لله بالتوحيد والإنقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله» فهو متضمن لأمور ثلاثة.

(٣) أي بأن يستسلم العبد لربه استسلاماً شرعياً وذلك بتوحيد الله عز وجل وأفراده بالعبادة، وهذا الإسلام هو الذي يحمد عليه العبد ويثاب

(١) أخرجه البخاري، كتاب القدر، باب: إلقاء العبد النذر إلى القدر. ومسلم، كتاب النذر، باب: النهي عن النذر وأنه لا يرد شيئاً.

(٢) رواه البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب: النذر فيما لا يملك وفي معصية.

وَالْإِنْقِيادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ^(١)، وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشَّرِكِ وَأَهْلِهِ^(٢)؛ وَهُوَ ثَلَاثٌ مَرَاتِبٌ^(٣) : الإِسْلَامُ، وَالْإِيمَانُ، وَالْإِحْسَانُ، وَكُلُّ مَرْتَبَةٍ لَهَا أَزْكَانٌ^(٤). فَأَرْكَانُ الإِسْلَامِ خَمْسَةٌ^(٥) : شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ

عليهِ، أما الاستسلام القديري فلا ثواب فيه لأنه لا حيلة للإنسان فيه قال الله تعالى: «وَلَهُ أَسْلَمَ مَنِ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرَهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ» [سورة آل عمران، الآية: ٨٣].

(١) وذلك بفعل أوامره واجتناب نواهيه؛ لأن الطاعة طاعة في الأمر بفعله وطاعة في النهي بتركه.

(٢) البراءة من الشرك أي أن يتبرأ منه، ويتخلى عنه وهذا يستلزم البراءة من أهله قال الله تعالى: «فَدَّ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرْءَةٌ مِنْكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبِدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَعْضُ مِنَ الْبَعْضِ أَبْدَأَهُ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ» [سورة المتحنة، الآية: ٤].

(٣) بين المؤلف رحمه الله تعالى أن الدين الإسلامي ثلات مراتب بعضها فوق بعض وهي الإسلام، والإيمان، والإحسان.

(٤) دليل ذلك قوله عليه السلام في الحديث الذي رواه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين جاء جبريل يسأل النبي عليه السلام عن الإسلام والإيمان والإحسان وبين له عليه السلام ذلك وقال: «هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم». ^(١)

(٥) دليل ذلك حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبي عليه السلام: «بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام

(١) تقدم تخرجه.

الله^(١)، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام.

فدليل الشهادة قوله تعالى : « شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأَوْلُوا الْعِلْمُ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ »^(٢) [سورة آل عمران، الآية : ١٨].

الصلاه، وإيتاء الزكاه، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام». ^(١)

(١) شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ركن واحد وإنما كانت ركناً واحداً مع أنها من شقين لأن العبادات تبني على تحقيقهما معاً، فلا تقبل العبادة إلا بالإخلاص لله عز وجل وهو ما تتضمنه شهادة أن لا إله إلا الله، وإتباع الرسول ﷺ وهو ما تتضمنه شهادة أن محمداً رسول الله.

(٢) في الآية الكريمة شهادة الله لنفسه بأنه لا إله إلا هو، وشهادة الملائكة وشهاده أهل العلم بذلك وأنه تعالى قائم بالقسط أي العدل ثم قرر ذلك بقوله : « لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » وفي هذه الآية منقبة عظيمة لأهل العلم حيث أخبر أنهم شهداء معه ومع الملائكة والمراد بهم أولو العلم بشرعيته ويدخل فيهم دخولاً أولياً رسلاه الكرام.

وهذه الشهادة أعظم شهادة لعظم الشاهد والمشهود به، فالشاهد هو الله وملائكته، وأولو العلم، والمشهود به توحيد الله في ألوهيته وتقرير ذلك « لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ».

(١) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب : قول النبي عليه الصلاة والسلام : « بنى الإسلام على خمس . . . ». ومسلم، كتاب الإيمان، باب : بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام.

وَمَعْنَاهَا: لَا مَعْبُودٌ بِحَقٍّ إِلَّا اللَّهُ؛ «لَا إِلَهَ» نَافِيًّا جَمِيعَ مَا يُعبدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ «إِلَّا اللَّهُ» مُثْبِتاً الْعِبَادَةَ لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ، كَمَا أَنَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي مُلْكِهِ^(١)

(١) قوله ومعناها أي معنى لـ«لَا إِلَه إِلَّا الله» لا معبد بحق إلا الله فشهادة أن لـ«لَا إِلَه إِلَّا الله» أن يعترف الإنسان بلسانه وقلبه بأنه لا معبد حق إلا الله عز وجل لأنـ«إِلَه» بمعنى مألوه، والتاله التعبد، وجملة «لَا إِلَه إِلَّا الله» مشتملة على نفي وإثبات، أما النفي فهو «لَا إِلَه» وأما الإثبات فهو «إِلَه» و«الله» لفظ الجلاله بدل من خبر «لا» المحدوف والتقدير «لَا إِلَه حَقٌّ إِلَّا الله» و بتقديرنا الخبر بهذه الكلمة «حق» يتبيّن الجواب عن الإشكال التالي: وهو كيف يقال «لَا إِلَه إِلَّا الله» مع أن هناك آلهة تعبد من دون الله وقد سماها الله تعالى آلهة وسمها عابدوها آلهة قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ إِلَهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَاجَأَهُمْ رِيقٌ﴾ [سورة هود، الآية: ١١٠] وكيف يمكن أن ثبت الألوهية لغير الله عز وجل والرسل يقولون لأقوامهم ﴿أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾؟ [سورة الأعراف، الآية: ٥٩] والجواب على هذا الإشكال يتبيّن بتقدير الخبر في «لَا إِلَه إِلَّا الله» فنقول: هذه الآلهة التي تعبد من دون الله هي آلهة لكنها آلهة باطلة ليست آلهة حقة وليس لها من حق الألوهية شيء، ويدل لذلك قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَطَلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سورة الحج، الآية: ٦٢] ويدل لذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ اللَّذَتِ وَالْعَزَّى * وَمَنْوَةَ النَّاثِلَةَ الْأُخْرَى * الْكُمُ الْذَّكْرُ وَلَهُ الْأَنْثَى * تِلْكَ إِذَا قِسْمَةً ضَيْرَى * إِنَّهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَإِبْرَاهِيمَ كُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ

وَتَفَسِّيرُهَا الَّذِي يُوضِّحُهَا، قَوْلُهُ تَعَالَى : « وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ^(١) لِأَيْدِيهِ وَقَوْمَهُ إِنِّي بَرَاءٌ^(٢) مِمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي^(٣) فَإِنَّهُ سَيِّدِينِ^(٤) وَجَعَلَهَا^(٥) »

سُلْطَنٌ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ أَهْدَى^{﴿﴾}
[سورة النجم، الآيات: ١٩-٢٣] وقوله تعالى عن يوسف عليه الصلاة والسلام:
« مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِنِي إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُهُمْ هَا أَنْتُمْ وَأَبْأَوْكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ
بِهَا مِنْ سُلْطَنٍ^{﴿﴾} [سورة يوسف، الآية: ٤٠] إذن فمعنى « لا إِلَهَ إِلَّا الله » لا معبد
حق إلا الله عز وجل ، فأما المعبودات سواه فإن ألوهيتها التي يزعمها
عبدوها ليست حقيقة أي ألوهية باطلة .

(١) إبراهيم هو خليل الله إمام الحنفاء ، وأفضل الرسل بعد محمد ﷺ وأبوه آزر .

(٢) (براء) صفة مشبهة من البراءة وهي أبلغ من بريء . قوله : « إِنِّي
بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ^{﴿﴾} يوافي قول « لا إِلَهَ ».

(٣) خلقني ابتداء على الفطرة وقوله : « إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي^{﴿﴾} يوافي قوله « إِلَّا
الله » فهو سبحانه وتعالى لا شريك له في عبادته كما أنه لا شريك له في ملكه
ودليل ذلك قوله تعالى : « أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ^{﴿﴾} [سورة
الأعراف ، الآية: ٥٤] ففي هذه الآية حصر الخلق والأمر لله رب العالمين وحده
فله الخلق وله الأمر الكوني والشرعي .

(٤) « سَيِّدِينِ^{﴿﴾} سيدلني على الحق ويوفقني له .

(٥) « وَجَعَلَهَا^{﴿﴾} أي هذه الكلمة وهي البراءة من كل معبد سوى الله .

كَلْمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِيْدَةِ (١) لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢)، وَقَوْلُهُ: ﴿ قُلْ (٣) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلْمَةٍ (٤) سَوَاءٌ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَا تَعْبُدُ إِلَّا اللَّهُ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ (٥) فَإِنْ تَوَلُّوْا (٦) فَقُولُوا أَشْهَدُوا إِنَّا مُسْلِمُونَ (٧)﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٦٤].

(١) ﴿فِي عَقِيْدَةِ﴾ في ذريته.

(٢) ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي إليها من الشرك.

(٣) الخطاب للنبي ﷺ لمناظرة أهل الكتاب اليهود والنصارى.

(٤) ﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلْمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ هذه الكلمة هي ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فلا نعبد إلا الله هي معنى «لا إله إلا الله»، ومعنى ﴿سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ أنتانا نحن وإياكم سواء فيها.

(٥) أي لا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله عز وجل بحيث يعظم كما يعظم الله عز وجل، ويعبد كما يعبد الله، ويجعل الحكم لغيره.

(٦) ﴿فَإِنْ تَوَلُّوْا﴾ أعرضوا عما دعوتموه إليهم.

(٧) أي فأعلنوا لهم وأشهدوا لهم أنكم مسلمون لله، برئيؤون ما هم عليه من العناد والتولي عن هذه الكلمة العظيمة «لا إله إلا الله».

وَدَلِيلُ شَهادَةِ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ قَوْلُهُ تَعَالَى : « لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ (١) عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ (٢) حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّجِيمٌ » (٤) [سورة التوبة، الآية: ١٢٨].

(١) قوله « مِنْ أَنفُسِكُمْ » أي من جنسكم بل هو من بينكم أيضاً كما قال تعالى: « هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَّاتِ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَسْلُو عَلَيْهِمْ إِيمَانَهُمْ وَيَرَكِّبُهُمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ » [سورة الجمعة، الآية: ٢].

(٢) أي يشق عليه ما شق عليكم.

(٣) أي على منفعتكم ودفع الفرط عنكم.

(٤) أي ذو رأفة ورحمة بالمؤمنين، وخاص المؤمنين بذلك لأنه ﷺ مأمور بجهاد الكفار والمنافقين والغلظة عليهم، وهذه الأوصاف لرسول الله ﷺ تدل على أنه رسول الله حقاً كما دل على ذلك قوله تعالى: « مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ » [سورة الفتح، الآية: ٢٩] وقوله تعالى: « قُلْ يَكَانُهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ بِجَمِيعِهِ » [سورة الأعراف، الآية: ١٥٨] والآيات في هذا المعنى كثيرة جداً تدل على أن محمدًا رسول الله حقاً.

وَمَعْنَى شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ: طَاعَتْهُ فِيمَا أَمْرَ، وَتَصَدَّيْقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، وَاجْتِنَابُ مَا عَنْهُ نَهَى وَزَجَرَ، وَأَنْ لَا يَعْبُدَ اللَّهُ إِلَّا بِمَا شَرَعَ^(١).

(١) معنى شهادة «أن محمداً رسول الله» هو الإقرار باللسان والإيمان بالقلب بأن محمد بن عبد الله القرشي الهاشمي رسول الله - عز وجل - إلى جميع الخلق من الجن والإنس كما قال الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّا وَالْإِنْسَا إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [سورة الذاريات، الآية: ٥٦] ولا عبادة لله تعالى إلا عن طريق الوحي الذي جاء به محمد ﷺ كما قال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلنَّاسِ نَذِيرًا﴾ [سورة الفرقان، الآية: ١].

ومقتضى هذه الشهادة أن تصدق رسول الله ﷺ فيما أخبر، وأن تمثل أمره فيما أمر، وأن تجتنب ما عنه نهى وزجر، وأن لا تعبد الله إلا بما شرع، ومقتضى هذه الشهادة أيضاً أن لا تعتقد أن لرسول الله ﷺ حقيقة في الروبية وتصريف الكون، أو حقيقة في العبادة، بل هو ﷺ عبد لا يعبد، ورسول لا يكذب، ولا يملك لنفسه ولا لغيره شيئاً من النفع أو الضر إلا ما شاء الله كما قال الله تعالى: ﴿ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ كُمْ عِنْدِي خَرَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ٥٠]. فهو عبد مأمور يتبع ما أمر به، وقال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًا وَلَا رَشَدًا * قُلْ إِنِّي لَنْ يُحِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُتَحَدًا﴾ [سورة الجن، الآيتين: ٢١، ٢٢] وقال سبحانه: ﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَا سَتَكْرَتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَنَّ الْشَّرُّ إِنْ أَنَا إِلَّا ذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ١٨٨].

وبهذا تعلم أنه لا يستحق العبادة لا رسول الله ﷺ، ولا من دونه من

وَدَلِيلُ الصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ^(١)، وَتَفْسِيرُ التَّوْحِيدِ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَمَا أَمْرَرْ وَأَلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا مُخْلِصِينَ لِهِ الَّذِينَ حُنَفَاءُ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكُوَةَ^(٢) وَذَلِكَ^(٣) دِينُ الْقِيمَةِ^(٤) ﴾ [سورة البينة، الآية: ٥].

المخلوقين ، وأن العبادة ليست إلا لله تعالى وحده . ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَشَكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاقِيفِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَإِنَّا أَوْلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [سورة الأنعام، الآيتين: ١٦٢، ١٦٣]. وأن حقه عليه السلام ، أن تنزله المنزلة التي أنزله الله تعالى إليها وهو أنه عبد الله ورسوله ، صلوات الله وسلامه عليه .

(١) أي أن الصلاة والزكوة من الدين قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَمْرَرْ وَأَلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا مُخْلِصِينَ لِهِ الَّذِينَ حُنَفَاءُ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكُوَةَ^(٥) ﴾ [سورة البينة، الآية: ٥] وهذه الآية عامة شاملة لجميع أنواع العبادة فلابد أن يكون الإنسان فيها مخلصاً لله عز وجل حنيفاً متابعاً لشرعه .

(٢) هذ من باب عطف الخاص على العام ، لأن إقامة الصلاة ، وإيتاء الزكوة من العبادة ولكنه سبحانه وتعالى نص عليهمما لها من الأهمية فالصلاحة عبادة البدن ، والزكاة عبادة المال وهما قريبتان في كتاب الله عز وجل .

(٣) أي عبادة الله مخلصين له الدين حنفاء ، وإقامة الصلاة ، وإيتاء الزكوة .

(٤) أي دين الملة القيمة التي لا إعوجاج فيها لأنها دين الله عز وجل ودين الله مستقيم كما قال الله تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ^(٦) ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١٥٣] .

وهذه الآية الكريمة كما تضمنت ذكر العبادة والصلاحة فقد تضمنت حقيقة التوحيد وأنه الإخلاص لله عز وجل من غير ميل إلى الشرك ، فمن

وَدَلِيلُ الصِّيَامِ^(١) قَوْلُهُ تَعَالَى : « يَتَأْيَهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتُبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتُبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقَوْنَ »^(٢) [سورة البقرة، الآية: ١٨٣] ، وَدَلِيلُ الْحَجَّ^(٣) قَوْلُهُ تَعَالَى : « وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ

لم يخلص الله لم يكن موحداً، ومن جعل عبادته لغير الله لم يكن موحداً.

(١) أي دليل وجوبه قوله تعالى: « يَتَأْيَهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتُبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتُبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقَوْنَ » وفي قوله « كَمَا كُتُبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ » فوائد:

أولاً: أهمية الصيام حيث فرضه الله عز وجل على الأمم من قبلنا وهذا يدل على محبة الله عز وجل له وأنه لازم لكل أمة.

ثانياً: التخفيف على هذه الأمة حيث إنها لم تكلف وحدتها بالصيام الذي قد يكون فيه مشقة على النفوس والأبدان.

ثالثاً: الإشارة إلى أن الله تعالى أكمل لهذه الأمة دينها حيث أكمل لها الفضائل التي سبقت لغيرها.

(٢) بين الله عز وجل في هذه الآية حكمه الصيام بقوله: « لَعَلَّكُمْ تَتَّقَوْنَ » أي تتقوون الله بصيامكم وما يترتب عليه من خصال التقوى وقد أشار النبي ﷺ إلى هذه الفائدة بقوله: « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه »^(٤).

(٣) أي دليل وجوبه قوله تعالى: « وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ » إلخ.

(١) أخرجه البخاري، كتاب الصوم، باب: من لم يدع قول الزور والعمل به في الصوم.

مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ^(١) [سورة آل عمران، الآية: ٩٧].

وهذه الآية نزلت في السنة التاسعة من الهجرة وبها كانت فريضة الحج ولكن الله عز وجل قال: «مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا» فيه دليل على أن من لم يستطع فلا حج عليه.

(١) في قوله تعالى «وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ» دليل على أن ترك الحج من استطاع إليه سبيلاً يكون كفراً ولكنه كفر لا يخرج من الملة على قول جمهور العلماء لقول عبدالله بن شقيق: «كان أصحاب رسول الله ﷺ لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر غير الصلاة»^(١).

* * *

(١) أخرجه الترمذى ، كتاب الإيمان ، باب: ما جاء فيمن ترك الصلاة .

الْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ^(١) : الْإِيمَانُ^(٢) ، وَهُوَ بِضُعٍ^(٣) وَسَبْعُونَ شُعْبَةً^(٤) ، فَأَعْلَاهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى^(٥) عَنِ الظَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ^(٦) شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ ،

(١) أي من مراتب الدين.

(٢) الإيمان في اللغة: التصديق.

وفي الشرع «إعتقد بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح وهو بعض وسبعون شعبة».

(٣) البعض: بكسر الباء من الثلاثة إلى التسعة.

(٤) الشعبة: الجزء من الشيء.

(٥) أي إزالة الأذى وهو ما يؤذى المارة من أحجار وأشواك، ونفايات وقمامة وما له رائحة كريهة ونحو ذلك.

(٦) الحياء صفة انجعالية تحدث عند الخجل وتحجز المرء عن فعل ما يخالف المروءة.

والجمع بين ما تضمنه كلام المؤلف رحمه الله تعالى من أن الإيمان بعض وسبعون شعبة وأن الإيمان أركانه ستة أن نقول: الإيمان الذي هو العقيدة أصوله ستة وهي المذكورة في حديث جبريل عليه الصلاة والسلام حينما سأله النبي ﷺ عن الإيمان فقال: «الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»^(١).

(١) تقدم تخربيه.

وَأَرْكَانُهُ سِتَّةٌ: أَنْ تُؤْمِنْ بِاللَّهِ^(١)،

وأما الإيمان الذي يشمل الأعمال وأنواعها وأجناسها فهو بعض وسبعون
شعبة ولهذا سمي الله تعالى الصلاة إيماناً في قوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ
إِيمَانَكُمْ﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٤٣] قال المفسرون يعني صلاتكم إلى بيت
المقدس لأن الصحابة كانوا قبل أن يؤمروا بالتوجه إلى الكعبة يصلون إلى
بيت المقدس.

(١) الإيمان بالله يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بوجود الله تعالى:

وقد دلَّ على وجوده تعالى: الفطرة، والعقل، والشرع، والحس.

١ - أما دلالة الفطرة على وجوده: فإنَّ كل مخلوق قد فطر على الإيمان
بخالقه من غير سبق تفكير أو تعليم، ولا ينصرفُ عن مقتضى هذه الفطرة
إلاً من طرأ على قلبه ما يصرفه عنها لقول النبي ﷺ: «ما من مولود إلا يولد
على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه»^(١).

٢ - وأما دلالة العقل على وجود الله تعالى: فلأن هذه المخلوقات سابقتها
والحقها لا بد لها من خالق أوجدها إذ لا يمكن أن توجد نفسها بنفسها،
ولا يمكن أن تُوجَدَ صدفة.

لا يمكن أن تُوجَدَ نفسها بنفسها لأن الشيء لا يخلق نفسه، لأن قبل
وجوده معدوم فكيف يكون حالَّا؟

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب: إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه. ومسلم،
كتاب القدر، باب: ما من مولود إلا على الفطرة.

.....
 ولا يمكن أن تُوجَد صدفة، لأن كل حادث لابد له من محدث، ولأن وجودها على هذا النظام البديع، والتناسق المتألف، والإرتباط الملتحم بين الأسباب ومسبياتها، وبين الكائنات بعضها مع بعض يمنع منعاً باتاً أن يكون وجودها صدفة، إذ الموجود صدفة ليس على نظام في أصل وجوده فكيف يكون متظهماً حال بقائه وتطوره؟!

وإذا لم يمكن أن توجد هذه المخلوقات نفسها بنفسها، ولا أن تُوجَد صدفة تعين أن يكون لها موحد وهو الله رب العالمين.

وقد ذكر الله تعالى هذا الدليل العقلي والبرهان القطعي في سورة الطور، حيث قال: ﴿أَمْ خَلَقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَلِقُونَ﴾ [سورة الطور، الآية: ٣٥] يعني أنهم لم يخلقوا من غير خالق، ولا هم الذين خلقوا أنفسهم، فتعين أن يكون خالقهم هو الله تبارك وتعالى، ولهذا لما سمع - جبير بن مطعم - رضي الله عنه رسول الله ﷺ يقرأ سورة الطور فبلغ هذه الآيات: ﴿أَمْ خَلَقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَلِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُؤْتَنُونَ * أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيَّطِرُونَ﴾ [سورة الطور، الآيات: ٣٧-٣٥] وكان - جبير - يؤمئذ مشركاً قال: «كاد قلبي أن يطير، وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي» رواه البخاري - مفرقاً^(١).

ولنضرب مثلاً يوضح ذلك، فإنه لو حدثك شخص عن قصیر مُشید، أحاطت به الحدائق، وجرت بينها الأنهار، ومليء بالفرش والأسرة، وزين

(١) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، سورة الطور جـ ٤، ص ١٨٣٩.

.....

بأنواع الزينة من مقوماته ومكملاته، وقال لك : إنَّ هذا القصر وما فيه من كمال قد أوجد نفسه، أو وُجدَ هكذا صدفة بدون مُوجد، لبادرت إلى إنكار ذلك وتکذيبه، وعددت حديثهُ سفهًا من القول ، أفيجوز بعد ذلك أن يكون هذا الكون الواسع بأرضه وسمائه ، وأفلاكه وأحواله ، ونظامه البديع الباهر ، قد أوجد نفسه ، أو وُجد صدفة بدون موجد !

٣ - وأما دلالة الشرع على وجود الله تعالى : فلأن الكتب السماوية كلها تنطق بذلك ، وما جاءت به من الأحكام المتضمنة لمصالح الخلق دليل على أنها من رب حكيم عليم بمصالح خلقه ، وما جاءت به من الأخبار الكونية التي شهد الواقع بصدقها دليل على أنها من رب قادر على إيجاد ما أخبر به .

٤ - وأما أدلة الحس على وجود الله فمن وجهين :

أحدهما : أننا نسمعُ ونشاهدُ من إجابة الداعين ، وغوث المكروبين ، ما يدل دلالة قاطعة على وجوده تعالى ، قال الله تعالى : ﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِنْ قَبْلٍ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾ [سورة الأنبياء ، الآية : ٧٦] وقال تعالى : ﴿ إِذْ تَسْتَغْشِيُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [سورة الأنفال ، الآية : ٩] وفي صحيح البخاري عن - أنس بن مالك - رضي الله عنه : «أَنَّ أَعْرَابِيًّا دَخَلَ يَوْمَ الْجَمْعَةِ وَالنَّبِيُّ ﷺ يَنْخُطُبُ ، فَقَالَ : (يَا رَسُولَ اللَّهِ) ، هَلْكَ الْمَالُ ، وَجَاءَ الْعِيَالُ ، فَادْعُ اللَّهَ لَنَا ، فَرَفَعَ يَدِيهِ وَدَعَا فَثَارَ السَّحَابُ أَمْثَالَ الْجِبَالِ فَلَمْ يَنْزُلْ عَنْ مِنْبَرِهِ حَتَّىٰ رَأَيْتَ الْمَطَرَ يَتَحَادِرُ عَلَىٰ لَحِيَتِهِ . وَفِي الْجَمْعَةِ الثَّانِيَةِ قَامَ ذَلِكَ الْأَعْرَابِيُّ أَوْ غَيْرُهُ

فقال : (يا رسول الله) تهدم البناء ، وغرق المال ، فادع الله لنا ، فرفع يديه وقال : «اللهم حوالينا ولا علينا» ، فما يشير إلى ناحية إلا انفرجت»^(١) . وما زالت إجابة الداعين أمراً مشهوداً إلى يومنا هذا لمن صدق اللجوء إلى الله تعالى وأتى بشرائط الإجابة .

الوجه الثاني : أنَّ آيات الأنبياء التي تسمى (المعجزات) ويشاهدها الناس ، أو يسمعون بها ، برهان قاطع على وجود مرسلهم ، وهو الله تعالى ، لأنها أمور خارجة عن نطاق البشر ، يحيرها الله تعالى تأييداً لرسله ونصرأ لهم .

مثال ذلك : آية موسى عليه السلام حين أمره الله تعالى أن يضرب بعصاه البحر ، فضربه فانفلق اثنى عشر طريقاً يابساً ، والماء بينها كالجبال ، قال الله تعالى : «فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالْطَّوِيدِ» [سورة الشعراء ، الآية : ٦٣] .

ومثال ثان : آية عيسى عليه السلام حيث كان يحيي الموتى ، ويخرجهم من قبورهم بإذن الله ، قال الله تعالى : «وَأَتَحِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ» [سورة آل عمران ، الآية : ٤٩] وقال : «وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي» [سورة المائدة ، الآية : ١١٠] .

ومثال ثالث : لمحمد عليه السلام حين طلبته منه قريش آية ، فأشار إلى القمر فانفلق فرقتين فرأاه الناس ، وفي ذلك قوله تعالى : «أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَ

(١) أخرجه البخاري ، كتاب الجمعة ، باب : رفع اليدين في الدعاء . ومسلم ، كتاب الاستسقاء ، باب : الدعاء في الاستسقاء .

.....

الْقَمَرُ * وَإِنْ يَرَوْا إِيَّاهُ يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سَحْرٌ مُّسْتَمِرٌ ﴿٢١﴾ [سورة القمر، الآيتين: ٢، ١].
فهذه الآيات المحسوسة التي يجريها الله تعالى تأييداً لرسله، ونصرة لهم، تدل دلالة قطعية على وجوده تعالى.

الثاني: الإيمان بربوبيته:

أي بأنه وحده رب لا شريك له ولا معين.

والرب: من له الخلق، والملك، والأمر، فلا خالق إلا الله، ولا مالك إلا هو، ولا أمر إلا له، قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ٥٤] وقال: ﴿ذَلِكُمْ أَلَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ [سورة فاطر، الآية: ١٣].

ولم يعلم أن أحداً من الخلق أنكر ربوبية الله سبحانه، إلا أن يكون مكابراً غير معتقد بما يقول، كما حصل من - فرعون - حين قال لقومه: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [سورة النازعات، الآية: ٢٤] وقال: ﴿يَتَائِهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتَ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [سورة القصص، الآية: ٣٨] لكن ذلك ليس عن عقيدة، قال الله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَأَسْتَيْقِنْتَهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًا﴾ [سورة النمل، الآية: ١٤] وقال موسى لفرعون فيما حكى الله عنه: ﴿لَقَدْ عِلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَذُولَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَارٌ وَإِنِّي لَأَظُنُكَ يَنْفِرُ عَوْنَٰ مَشْبُورًا﴾ [سورة الإسراء، الآية: ١٠٢].

ولهذا كان المشركون يقررون برربوبية الله تعالى، مع إشراكهم به في الأولوية، قال الله تعالى: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ

لِّهٗ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ *
سَيَقُولُونَ لَهُ قُلْ أَفَلَا تَنْقُوْنَ * قُلْ مَنْ يَدْعُهُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ
يُحِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لَهُ قُلْ فَإِنِّي تَسْحِرُونَ ﴿٨٤-٨٩﴾

[سورة المؤمنون، الآيات: ٨٤-٨٩].

وقال الله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لِيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴾ [سورة الزخرف، الآية: ٩] وقال: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لِيَقُولُنَّ اللَّهُ فَإِنِّي يُؤْفَكُونَ ﴾ [سورة الزخرف، الآية: ٨٧].

وأمر الله سبحانه وتعالى مشرعاً في العبادات، أو حاكماً في المعاملات فقد أشرك به ولم يتحقق الإيمان .
وأمر الرب سبحانه شامل للأمر الكوني والشرعى فكما أنه مدبر الكون القاضي فيه بما يريد حسب ما تقتضيه حكمته، فهو كذلك الحاكم في بشرع العبادات وأحكام المعاملات حسبما تقتضيه حكمته، فمن اتخذ مع الله تعالى مشرعاً في العبادات، أو حاكماً في المعاملات فقد أشرك به ولم يتحقق الإيمان .

الثالث: الإيمان باللوهية:

أي (بأنه وحده الإله الحق لا شريك له) و «الإله» بمعنى «المألوه» أي «المعبود» حباً و تعظيمًا، وقال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُمَّ إِنَّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٦٣] وقال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمُ قَاتِلًا بِالْقُسْطَلَا إِلَهٌ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٨]. وكل ما اتخذ إلهاً مع الله يعبد من دونه فاللوهية باطلة، قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ

دُونِهِ هُوَ الْبَطِلُ وَأَنْتَ اللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ» [سورة الحج، الآية: ٦٢] وتسميتها آلهة لا يعطيها حق الألوهية قال الله تعالى في (اللات والعزى ومناها): «إِنَّهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاوْكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَنٍ» [سورة النجم، الآية: ٢٣] وقال عن هود أنه قال لقومه: «أَتَجَدِلُونِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاوْكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَنٍ» [سورة الأعراف، الآية: ٧١] وقال عن يوسف أنه قال لصاحب السجن: «أَرْبَابُ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ أَلْوَحْدُ الْقَهَّارُ * مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاوْكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَنٍ» [سورة يوسف، الآيتين: ٤٠، ٣٩] ولهذا كانت الرسل عليهم الصلاة والسلام يقولون لأقوامهم «أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ» ولكن أبى ذلك المشركون، واتخذوا من دون الله آلهة، يعبدونهم مع الله سبحانه وتعالى، ويستنصرون بهم، ويستغثون.

وقد أبطل الله تعالى اتخاذ المشركون هذه الآلهة برهانين عقليين:

الأول: أنه ليس في هذه الآلهة التي اتخذوها شيء من خصائص الألوهية، فهي مخلوقة لا تخلق، ولا تجلب نفعاً لعبادها، ولا تدفع عنهم ضرراً، ولا تملك لهم حياة، ولا موتاً، ولا يملكون شيئاً من السموات ولا يشاركون فيه.

قال الله تعالى: «وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا فُشْرًا» [سورة الفرقان، الآية: ٣].

وقال تعالى: «قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ شَيْئاً

.....
 ذرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا هُمْ فِيهِمَا مِنْ شَرِيكٍ وَمَا لَهُمْ مِنْ ظَاهِرٍ
 * وَلَا تَفْعُلُ الشَّفَاعَةَ عِنْهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴿سورة سباء، الآيتين: ٢٢، ٢٣﴾.

وقال: «أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يَخْلُقُونَ * وَلَا يَسْتَطِعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا
 أَنفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ» [سورة الأعراف، الآيتين: ١٩١، ١٩٢].

وإذا كانت هذه حال تلك الآلهة، فإن اتخاذها آلهة من أسفه السفة،
 وأبطل الباطل.

الثاني: أن هؤلاء المشركين كانوا يقررون بأن الله تعالى وحده رب العالمين الذي بيده ملوكوت كل شيء، وهو يجبر ولا يجبار عليه، وهذا يستلزم أن يوحّدوه بالألوهية كما وحدوه بالربوبية كما قال تعالى: «يَنَّا إِلَيْهَا النَّاسُ
 أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقُكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ
 الْأَرْضَ فِرَشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الْأَرْضِ رِزْقًا لَكُمْ
 فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَإِنَّمَا تَعْلَمُونَ» [سورة البقرة، الآيتين: ٢١، ٢٢] وقال:
 «وَلَيْسَ سَائِلَهُمْ مَنْ خَلَقُهُمْ لِيَقُولُنَّ اللَّهُ فَإِنَّمَا يُؤْفَكُونَ» [سورة الزخرف، الآية: ٨٧]
 وقال: «قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْنَ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ
 يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيَّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقْلَ
 أَفَلَا نَنْقُونَ * فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَإِنَّمَا يُنَصِّرُ فِرْقَةً»
 [سورة يونس، الآيتين: ٣١، ٣٢].

الرابع: الإيمان بأسمائه وصفاته:

أي (إثبات ما أثبته الله لنفسه في كتابه، أو سنة رسوله ﷺ من الأسماء

والصفات على الوجه اللائق به من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكيف، ولا تشيل، قال الله تعالى : ﴿ وَلِلّٰهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُتَحَدُّوْنَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [سورة الأعراف، الآية : ١٨٠] وقال : ﴿ وَلَهُ الْمُثُلُ الْأَعْلَى فِي أَسْمَائِهِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [سورة الروم، الآية : ٢٧] وقال : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَفَّٰ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [سورة الشورى، الآية : ١١].

وقد ضل في هذا الأمر طائفتان :

إحداهما : (المعطلة) الذين أنكروا الأسماء ، والصفات ، أو بعضها ، زاعمين أن إثباتها يستلزم التشبيه ، أي تشبيه الله تعالى بخلقه ، وهذا الزعم باطل لوجوه منها :

الأول : أنه يستلزم لوازن باطلة كالتناقض في كلام الله سبحانه ، وذلك أن الله تعالى أثبت لنفسه الأسماء والصفات ، ونفي أن يكون كمثله شيء ، ولو كان إثباتها يستلزم التشبيه لزم التناقض في كلام الله ، وتکذیب بعضه بعضاً .

الثاني : أنه لا يلزم من اتفاق الشيئين في اسم أو صفة أن يكونا متماثلين ، فأنت ترى الشخصين يتلقان في أن كلاً منهما إنسان سميع ، بصير ، متكلم ، ولا يلزم من ذلك أن يتماثلا في المعانى الإنسانية ، والسمع ، والبصر ، والكلام ، وترى الحيوانات لها أيد وأرجل ، وأعين ، ولا يلزم من اتفاقها هذا أن تكون أيديها وأرجلها ، وأعينها متماثلة .

فإذا ظهر التباين بين المخلوقات فيما تتفق فيه من أسماء ، أو صفات ،

فالتبان بين الخالق والمخلوق أبين وأعظم.

الطائفة الثانية: (المُشَبِّهُون) الذين أثبتو الأسماء والصفات مع تشبيه الله تعالى بخلقه زاعمين أن هذا مقتضى دلالة النصوص، لأن الله تعالى يخاطب العباد بما يفهمون وهذا الزعم باطل لوجوه منها:

الأول: أن مشابهة الله تعالى خلقه أمر باطل يبطله العقل، والشرع، ولا يمكن أن يكون مقتضى نصوص الكتاب والسنة أمراً باطلأ.

الثاني: أن الله تعالى خاطب العباد بما يفهمون من حيث أصل المعنى،
أما الحقيقة والمعنى الذي عليه ذلك المعنى فهو ما استأثر الله تعالى بعلمه
فيما يتعلق بذاته ، وصفاته .

فإذا أثبت الله لنفسه أنه سميع، فإن السمع معلوم من حيث أصل المعنى (وهو إدراك الأصوات) لكن حقيقة ذلك بالنسبة إلى سمع الله تعالى غير معلومة، لأن حقيقة السمع تتباين حتى في المخلوقات، فالتبابين فيها بين الخالق والمخلوق، أبين وأعظم.

وإذا أخبر الله تعالى عن نفسه أنه استوى على عرشه فإن الإستواء من حيث أصل المعنى معلوم، لكن حقيقة الإستواء التي هو عليه غير معلومة بالنسبة إلى استواء الله على عرشه، لأن حقيقة الإستواء تتبادر في حق المخلوق، فليس الاستواء على كرسي مستقر كالإستواء على رحل بعيد صعب نفور، فإذا تبادرت في حق المخلوق، فالتبادر فيها بين الخالق والمخلوق أين وأعظم.

وَمَلَائِكَتِهِ^(١)

والإيمان بالله تعالى على ما وصفنا يثمر للمؤمنين ثمرات جليلة منها:
الأولى: تحقيق توحيد الله تعالى بحيث لا يتعلّق بغيره رجاء، ولا
خوفاً، ولا يعبد غيره.

الثانية: كمال محبة الله تعالى، وتعظيمه بمقتضى أسمائه الحسنى
وصفاته العليا.

الثالثة: تحقيق عبادته بفعل ما أمر به، واجتناب ما نهى عنه.

(١) الملائكة: عالم غيبي مخلوقون، عابدون الله تعالى، وليس لهم من
خصائص الربوبية والألوهية شيء، خلقهم الله تعالى من نور، ومنهم
الانقياد التام لأمره، والقوة على تنفيذه.

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ عِنْدُهُ لَا يَسْتَكْرِهُنَّ عَنِ عِبَادَتِهِ، وَلَا يَسْتَحِسِرُونَ *
يُسَيِّحُونَ إِلَيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتَرُونَ﴾ [سورة الأنبياء، الآيتين: ١٩، ٢٠].

وهم عدد كثير لا يحصيهم إلا الله تعالى، وقد ثبت في الصحيحين من
حديث أنس رضي الله عنه في قصة المراج أن النبي ﷺ رفع له البيت
المعמור في السماء يصلّي فيه كل يوم سبعون ألف ملك إذ خرجوا لم يعودوا
إليه آخر ما عليهم.^(١)

والإيمان بالملائكة يتضمن أربعة أمور:
الأول: الإيمان بوجودهم.

(١) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب: ذكر الملائكة. ومسلم، كتاب الإيمان، باب:
الإسراء برسول الله ﷺ وفرض الصلوات.

**الثاني: الإيمان بمن علمنا اسمه منهم باسمه (كجبريل) ومن لم نعلم
اسميه نؤمن بهم إجمالاً.**

الثالث: الإيمان بما علمنا من صفاتهم، كصفة (جبريل) فقد أخبر النبي ﷺ أنه رأه على صفتة التي خُلِقَ عليها وله ستمائة جناح قد سد الأفق. (١)

وقد يتحول الملك بأمر الله تعالى إلى هيئة رجل، كما حصل (لجل جبريل) حين أرسله تعالى إلى - مريم - فتمثل لها بشرًا سوياً، وحين جاء إلى النبي ﷺ وهو جالس في أصحابه جاءه بصفة رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه أحد من الصحابة، فجلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وسأل النبي ﷺ عن الإسلام، والإيمان والإحسان، وال الساعة، وأمارتها، فأجابه النبي ﷺ فانطلق. ثم قال النبي ﷺ: «هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم». رواه مسلم. (٢)

وكذلك الملائكة الذين أرسلهم الله تعالى إلى إبراهيم، ولوط كانوا في صورة رجال.

**الرابع: الإيمان بما علمنا من أعمالهم التي يقومون بها بأمر الله تعالى،
كتسبيه، والتعبد له ليلاً ونهاراً بدون ملل ولا فتور.**

(١) البخاري، كتاب بدء الخلق، ٣٢٣٢-٣٢٣٣.

(۲) تقدم تخریجہ۔

وقد يكون لبعضهم أعمال خاصة.

مثل : جبريل الأمين على وحي الله تعالى يرسله الله به إلى الأنبياء والرسل .

ومثل : ميكائيل الموكيل بالقطر أي بالمطر والنبات .

ومثل : إسرافيل الموكيل بالنفح في الصور عند قيام الساعة وبعث الخلق .

ومثل : ملك الموت الموكيل بقبض الأرواح عند الموت .

ومثل : مالك الموكيل بالنار وهو خازن النار .

ومثل : الملائكة الموكلين بالأجنحة في الأرحام إذا تم للإنسان أربعة أشهر في بطن أمه ، بعث الله إليه ملكاً وأمره بكتب رزقه ، وأجله ، وعمله ، وشقي أم سعيد .

ومثل : الملائكة الموكلين بحفظ أعمالبني آدم وكتابتها لكل شخص ،

ملكان : أحدهما عن اليمين ، والثاني عن الشمال .

ومثل : الملائكة الموكلين بسؤال الميت إذا وضع في قبره يأتيه ملكان يسألانه عن ربه ، ودينه ، ونبيه .

والإيمان بالملائكة يثمر ثمرات جليلة منها :

الأولى : العلم بعظمته الله تعالى ، وقوته ، وسلطانه ، فإن عظمته المخلوق من عظمة الخالق .

الثانية : شكر الله تعالى على عنائه ببني آدم ، حيث وكلَّ من هؤلاء الملائكة من يقوم بحفظهم ، وكتابة أعمالهم ، وغير ذلك من مصالحهم .

الثالثة : حبة الملائكة على ما قاموا به من عبادة الله تعالى .

وقد أنكر قوم من الزائغين كون الملائكة أجساماً، وقالوا إنهم عبارة عن قوى الخير الكامنة في المخلوقات، وهذا تكذيب لكتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ وإجماع المسلمين.

قال الله تعالى : «**الْحَمْدُ لِلّٰهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولَئِنَّى أَجِنْحَةَ مَثْقَنَ وَثَلَاثَ وَرَبِيعَ**» [سورة فاطر ، الآية : ١].

وقال : «**وَلَوْ تَرَى إِذَا يَتَوَفَّ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَرُهُمْ**» [سورة الأنفال ، الآية : ٥٠].

وقال : «**وَلَوْ تَرَى إِذَا الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوكُمْ أَنفُسَكُمْ**» [سورة الأنعام ، الآية : ٩٣].

وقال : «**حَقٌّ إِذَا فَيْعَزَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ**» [سورة سباء ، الآية : ٢٣].

وقال في أهل الجنة : «**وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنَعِمَ عَقْبَى الدَّارِ**» [سورة الرعد ، الآيتين : ٢٣ ، ٢٤].

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «إذا أحب الله العبد نادى جبريل إن الله يحب فلاناً فأحبه ، فيحبه جبريل ، فينادي جبريل في أهل السماء ، إن الله يحب فلاناً فأحبّوه ، فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول في الأرض». (١)

(١) أخرجه البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب : ذكر الملائكة . ومسلم ، كتاب البر والصلة ، باب : إذا أحب الله عبداً حبيبه إلى عباده .

..... وَكُتُبِهِ^(١) ،

وفيه أيضًا عنه قال : قال النبي ﷺ : «إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد الملائكة يكتبون الأول فالأول، فإذا جلس الإمام طرورًا الصحف، وجاءوا يستمعون الذكر». ^(١)

وهذه النصوص صريحة في أن الملائكة أجسام لا قوى معنوية، كما قال الزائعون وعلى مقتضى هذه النصوص أجمع المسلمون.

(١) الكتب : جمع (كتاب) بمعنى (مكتوب).

والمراد بها هنا : الكتب التي أنزلها تعالى على رس勒 رحمة للخلق، وهداية لهم، ليصلوا بها إلى سعادتهم في الدنيا والآخرة.

والإيمان بالكتب يتضمن أربعة أمور :

الأول : الإيمان بأن نزولها من عند الله حقاً.

الثاني : الإيمان بما علمنا اسمه منها باسمه كالقرآن الذي نزل على محمد ﷺ ، والتوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام ، والإنجيل الذي أنزل على عيسى عليه السلام ، والزبور الذي أوتيه داود عليه السلام وأما ما لم نعلم اسمه فنؤمن به إجمالاً.

الثالث : تصديق ما صح من أخبارها ، كأخبار القرآن ، وأخبار ما لم يبدل أو يحرف من الكتب السابقة.

الرابع : العمل بأحكام ما لم ينسخ منها ، والرضا والتسليم به سواء

(١) أخرجه البخاري ، كتاب الجمعة ، باب : الاستماع إلى الخطبة . ومسلم ، كتاب الجمعة ، باب : فضل التهجير يوم الجمعة .

وَرَسُولِهِ^(١)،

فهمنا حكمته ألم نفهمها ، وجميع الكتب السابقة منسوخة بالقرآن العظيم قال الله تعالى : ﴿ وَأَنَزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَبَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَبِ وَمَهِيمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [سورة المائدة ، الآية : ٤٨] أي (حاكمًا عليه) وعلى هذا فلا يجوز العمل بأي حكم من أحكام الكتب السابقة إلا ما صح منها وأقره القرآن .

والإيمان بالكتب يشمل ثمرات جليلة منها :

الأولى : العلم بعناية الله تعالى بعباده حيث أنزل لكل قوم كتاباً يهدىهم به .
الثانية : العلم بحكمة الله تعالى في شرعيه حيث شرع لكل قوم ما يناسب أحوالهم . كما قال الله تعالى : ﴿ لِكُلِّ جَعْلَنَا مِنْكُمْ شَرَعَةً وَمِنْهَا جَاءَ ﴾ [سورة المائدة ، الآية : ٤٨] .

(١) الرسل : جمع (رسول) بمعنى (مرسل) أي (مبعوث) بإبلاغ شيء .
والمراد هنا : من أوحى إليه من البشر بشرع وأمر بتبلیغه .
وأول الرسل نوح وآخرهم محمد ﷺ .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَآلِّيَّنَ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ [سورة النساء ، الآية : ١٦٣] .

وفي صحيح البخاري عن - أنس بن مالك - رضي الله عنه في حديث الشفاعة أن النبي ﷺ (ذكر أن الناس يأتون إلى آدم ليشفع لهم فيعتذر ، إليهم ويقول : اثنوا نوحًا أول رسول بعثه الله - وذكر تمام الحديث .^(١))

(١) أخرجه البخاري ، كتاب التوحيد ، باب : كلام الله مع الأنبياء يوم القيمة . ومسلم ، كتاب =

وقال الله تعالى في محمد ﷺ: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدًا أَبَا أَحَدٍ مِّنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولًا لِّلَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّنَ﴾ [سورة الأحزاب، الآية: ٤٠].

ولم تخل أمة من رسول يبعثه الله تعالى بشريعة مستقلة إلى قومه، أو نبي يوحى إليه بشريعة من قبله ليجددها، قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الظَّلْفُوتَ ﴾ [سورة النحل، الآية: ٣٦] وقال تعالى: ﴿ وَإِنِّي مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَّ فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [سورة فاطر، الآية: ٢٤] وقال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا الْتَوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْأَذْرِفَةَ ﴾ [سورة المائدة، الآية: ٤٤].

والرسول بشر مخلوقون ليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء، قال الله تعالى عن نبيه محمد ﷺ وهو سيد المرسلين وأعظمهم جاهًا عند الله: ﴿قُلْ لَاَ أَمِلُكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْعَيْبَ لَا سَتَّرَتْ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَنَّى أَسْوَءَ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِّيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ١٨٨].

وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًا وَلَا رَشْدًا * قُلْ إِنِّي لَنْ يُحِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَحِدَّ مِنْ دُونِهِ مُمْلَكَةً حَدَّا ﴾ [سورة الجن ، الآياتين : ٢١ ، ٢٢].

وتلحقهم خصائص البشرية من المرض ، والموت ، وال الحاجة إلى الطعام والشراب ، وغير ذلك ، قال الله تعالى عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام في وصفه لربه تعالى : ﴿وَالَّذِي هُوَ يَطْعَمُنَا وَيَسْقِنَا * وَإِذَا مَرْضَتْ فَهُوَ يَشْفِيْنَا﴾

وَالَّذِي يُمِسْتِنِي ثُمَّ يُحِبِّينِ》 [سورة الشعراء، الآيات: ٨١-٧٩].

وقال النبي ﷺ: «إنما أنا بشرٌ مثلكم أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكروني». ^(١)

وقد وصفهم الله تعالى بالعبودية له في أعلى مقاماتهم، وفي سياق الثناء عليهم فقال تعالى في نوح ﷺ: «إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا» [سورة الإسراء، الآية: ٣] وقال في محمد ﷺ: «تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا» [سورة الفرقان، الآية: ١].

وقال في إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب صلى الله عليهم وسلم: «وَادْكُرْ عِبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَئِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَرِ * إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ مِنَ الْمُشَكِّرِ ذِكْرَى الدَّارِ * وَلَنَهُمْ عِنْدَنَا لَمَنْ أُمْسِطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ» [سورة ص، الآيات: ٤٧-٤٥]

وقال في عيسى بن مريم ﷺ: «إِنَّهُ لَا يَعْبُدُ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّكُنْيَةِ إِسْرَائِيلَ» [سورة الزخرف، الآية: ٥٩].

والإيمان بالرسل يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بأن رسالتهم حق من الله تعالى، فمن كفر برسالة واحد منهم فقد كفر بالجميع. كما قال الله تعالى: «كَذَّبَتْ قَوْمٌ نُوحُ الْمُرْسَلِينَ» [سورة الشعراء، الآية: ١٠٥] فجعلهم الله مكذبين لجميع الرسل مع أنه لم يكن رسول غيره حين كذبوا، وعلى هذا فالنصارى الذين كذبوا

(١) أخرجه البخاري، كتاب القبلة، باب: التوجيه نحو القبلة حيث كان. ومسلم، كتاب المساجد، باب: السهو في الصلاة والسجود له.

محمدًا ﷺ ولم يتبعوه هم مكذبون لل المسيح بن مریم غير متبين له أيضاً، لا سيما وأنه قد بشرهم بـمحمد ﷺ ولا معنى لبشرتهم به إلا أنه رسول إليهم ينقذهم الله به من الضلال، ويهديهم إلى صراط مستقيم.

الثاني: الإيمان بمن علمنا اسمه منهم باسمه مثل: محمد وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ونوح عليهم الصلاة والسلام، وهؤلاء الخمسة هم أولو العزم من الرسل، وقد ذكرهم الله تعالى في موضوعين من القرآن في سورة الأحزاب في قوله: ﴿وَلِذَّا أَخْذَنَا مِنَ النَّبِيِّنَ مِثْقَلَهُمْ وَمِنْكُمْ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾ [سورة الأحزاب، الآية: ٧] وفي سورة الشورى في قوله: ﴿شَرَعْ لَكُمْ مِنَ الَّذِينَ مَا وَصَّنِي بِهِ، نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الَّذِينَ وَلَا تَنْفَرُوا فِيهِ﴾ [سورة الشورى، الآية: ١٣].

وَأَمَّا مَنْ لَمْ نُعْلَمْ اسْمَهُ مِنْهُمْ فَنَؤْمِنْ بِهِ إِجْمَاعًا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصَنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾ [٧٨].

الثالث: تصديق ما صَحَّ عنهم من أخبارهم.

الرابع: العمل بشريعة من أرسل إلينا منهم ، وهو خاتمهم محمد ﷺ
المرسل إلى جميع الناس قال الله تعالى : ﴿ فَلَا وَرِبَّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ
فِيمَا شَجَرَ بِيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَحِدُّوْنَ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا
تَسْلِيمًا ﴾ [سورة النساء ، الآية : ٦٥] .

وللإيمان بالرسل ثمرات جليلة منها:

الأولى: العلم برحمة الله تعالى وعناته بعباده حيث أرسل إليهم الرسل ليهدوهم إلى صراط الله تعالى، ويبينوا لهم كيف يعبدون الله ، لأن العقل البشري لا يستقل بمعرفة ذلك .

الثانية: شكره تعالى على هذه النعمة الكبرى.

الثالثة: محبة الرسل عليهم الصلاة والسلام وتعظيمهم، والثناء عليهم بما يليق بهم، لأنهم رسل الله تعالى، ولأنهم قاموا بعبادته، وتبلیغ رسالته، والنصح لعباده.

وقد كذب المعاندون رسلاهم زاعمين أن رسلا الله تعالى لا يكونون من
من البشر وقد ذكر الله تعالى هذا الزعم وأبطله بقوله ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ
يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا * قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ
مَلَكٌ كَمَا يَمْشُونَ مُطْمَئِنٌ لِنَزَّلَنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴾
[سورة الإسراء، الآيتين: ٩٤، ٩٥] فأبطل الله تعالى هذا الزعم بأنه لابد أن يكون
الرسول بشراً لأنه مرسل إلى أهل الأرض، وهم بشر، ولو كان أهل الأرض
ملائكة لننزل الله عليهم من السماء ملكاً رسولاً، ليكون مثلهم، وهكذا
حكي الله تعالى عن المكذبين للرسل أنهم قالوا: ﴿ إِنَّ أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا
تُرِيدُونَ أَنْ تَصْدُدُنَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ إِبْرَاهِيمَ فَأَقْتُلُنَا إِسْلَاطُنَ مُبِينٍ * قَالَتْ
لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنَّنَا نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُمْنَعُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا
كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِكُمْ إِسْلَاطُنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [سورة إبراهيم، الآيتين: ١٠، ١١].

وَالْيَوْمُ الْآخِرُ^(١)

(١) اليوم الآخر : يوم القيمة الذي يبعث الناس فيه للحساب والجزاء . وسمى بذلك لأنه لا يوم بعده ، حيث يستقر أهل الجنة في منازلهم ، وأهل النار في منازلهم .

والإيمان باليوم الآخر يتضمن ثلاثة أمور :

الأول : الإيمان بالبعث : وهو إحياء الموتى حين ينفح في الصور النفحة الثانية ، فيقوم الناس لرب العالمين ، حفاة غير متعلمين ، عراة غير مستترین ، غرلاً غير مختتنين ، قال الله تعالى : ﴿كَمَا بَدَأْنَا أُولَئِكُلِّنِيَّدُونَ وَعَدَّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [سورة الأنبياء ، الآية : ١٠٤] .

والبعث : حق ثابت دلّ عليه الكتاب ، والسنة ، وإجماع المسلمين . قال الله تعالى : ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمْ يَتُّونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَبْعَثُونَ﴾ [سورة المؤمنون ، الآيتين : ١٥ ، ١٦] .

وقال النبي ﷺ : «يُحشِّرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حفَّاتٍ غَرلاً»^(١) متفق عليه .

وأجمع المسلمون على ثبوته ، وهو مقتضى الحكمة حيث تقضي أن يجعل الله تعالى لهذه الخليقة معادًا يجازيهم فيه على ما كلفهم به على ألسنة رسله قال الله تعالى : ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَّادًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [سورة المؤمنون ، الآية : ١١٥] و قال لنبيه ﷺ : «إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ لَرَأَدَكَ إِلَى مَعَافِي» [سورة القصص ، الآية : ٨٥] .

(١) أخرجه البخاري ، كتاب الرقاق ، باب : كيف الحشر . ومسلم ، كتاب الجنة ، باب : الدنيا وبيان المحشر يوم القيمة .

الثاني: الإيمان بالحساب والجزاء: يحاسبُ العبد على عمله، ويجازى عليه، وقددل على ذلك الكتاب، السنة، وإنجاع المسلمين، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَّاهُمْ * شَمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابُهُمْ﴾ [سورة الغاشية، الآيتين: ٢٥، ٢٦] وقال: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَمْ يَعْشُ أَمْثَالَهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُحْرِزُهَا إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١٦٠] وقال: ﴿وَنَضَعُ الْمَوْزِينَ الْقَسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا ظُلْمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْكَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرَدٍ إِنَّا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَسِينًا﴾ [سورة الأنبياء، الآية: ٤٧].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما -أن النبي ﷺ- قال : «إِنَّ اللَّهَ يَدْنِي الْمُؤْمِنَ فَيُضِعُ عَلَيْهِ كَنْفَهُ وَيُسْتَرِهِ، فَيَقُولُ : أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ : نَعَمْ أَيْ رَبْ حَتَّى إِذَا قَرَرْتَ بِذَنْبِهِ، وَرَأَيْتَ أَنَّهُ قَدْ هَلَكَ قَالَ : قَدْ سَتَرْتَهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطِي كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الْكُفَّارُ وَالْمُنَافِقُونَ فَيَنَادِي بَهُمْ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ هُؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ، أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ». (١) متفق عليه .

وصحَّ عن النبي ﷺ: «أن من هم بحسنة فعملها، كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعفٍ إلى أضعافٍ كثيرة، وأن من هم بسيئة فعملها، كتبها الله سيئة واحدة». (٢)

(١) أخرجه البخاري، كتاب المظالم، باب: قوله تعالى: «ألا لعنة الله على الظالمين». ومسلم، كتاب التوبة، باب: قول توبية القاتل، وإن كثر قتله.

(٢) آخر جه البخاري، كتاب الرقائق، باب: من هم بحسنٍ أو سيئةً. ومسلم، كتاب الإيمان، باب: الإسراء بالنبي عليه الصلاة والسلام إلى السماوات.

.....

وقد أجمع المسلمون على إثبات الحساب والجزاء على الأعمال، وهو مقتضى الحكم فإنَّ الله تعالى أنزل الكتب، وأرسل الرسل، وفرض على العباد قبول ما جاءوا به، والعمل بما يجب العمل به منه، وأوجب قتال المعارضين له وأحلَّ دماءهم، وذرياتهم، ونسائهم، وأموالهم.

فلو لم يكن حساب، ولا جزاء لكان هذا من العبث الذي ينزله رب الحكيم عنه، وقد أشار الله تعالى إلى ذلك بقوله: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ * فَلَنَقْصَنَ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾ [سورة الأعراف، الآيتين: ٦، ٧].

الثالث: الإيمان بالجنة والنار، وأنهما المال الأبدى للخلق، فالجنة دار النعيم التي أعدها الله تعالى للمؤمنين المتقيين، الذين آمنوا بما أوجب الله عليهم الإيمان به، وقاموا بطاعة الله ورسوله، مخلصين لله متعين لرسوله. فيها من أنواع النعيم «ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر». قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَيْرُ الْبَرِّيَّةُ * جَرَأُوهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّتُ عَنْ تَجْرِي مِنْ تَحْنِهَا الْأَنْهَرُ خَلِيلِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ حَشِّي رَبَّهُ﴾ [سورة البينة، الآيتين: ٧، ٨] وقال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أَخْفَى لَهُمْ مِنْ قُرْبَةٍ أَعْيُنَ جَرَاءٍ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة السجدة، الآية: ١٧].

وأما النار فهي دار العذاب التي أعدَّها الله تعالى للكافرين الظالمين، الذين كفروا به وعصوا رسالته، فيها من أنواع العذاب، والنكال ما لا يخطر على

البال قال الله تعالى : « وَأَنْقُوا النَّارَ الَّتِي أَعْدَتْ لِلْكُفَّارِينَ » وقال : « إِنَّا أَعْذَنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سَرَادُفَهَا وَإِنْ يَسْتَغْشُوا يَغْشَوْا بِمَا كَالْمُهَلِّ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا » [سورة الكهف، الآية: ٢٩] وقال تعالى : « إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَفَّارِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا * خَلِدِينَ فِيهَا أَبْدًا لَا يَمْدُونَ وَلِيَا وَلَا يَصِيرَا * يَوْمَ تُقْلَبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلِيَّتِنَا أَطْعَنَا اللَّهَ وَأَطْعَنَا الرَّسُولُ لَا » [سورة الأحزاب، الآيات: ٦٤-٦٦].

ويتحقق بالإيمان باليوم الآخر : الإيمان بكل ما يكون بعد الموت مثل :

(أ) فتنة القبر : وهي سؤال الميت بعد دفنه عن ربه ، ودينه ، ونبيه ، فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ، فيقول : ربى الله ، وديني الإسلام ، ونبي محمد ﷺ . ويضل الله الظالمين فيقول الكافر هاه ، هاه ، لا أدرى . ويقول المنافق أو المرتاب لا أدرى سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته .

(ب) عذاب القبر ونعيمه : فيكون العذاب للظالمين من المنافقين والكافرين قال الله تعالى : « وَلَوْ تَرَى إِذَا الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوكُمْ أَنفُسَكُمْ أَلْيَومَ تُبَحَّرُونَ عَذَابَ الْهُنُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ إِيمَانِهِ تَسْتَكِرُونَ » [سورة الأنعام، الآية: ٢٣].

وقال تعالى في - آل فرعون - : « الْنَّارُ يُعَرَّضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَذْخُلُوا إِلَيْنَا فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ » [سورة غافر، الآية: ٤٤].

وفي صحيح مسلم من حديث زيد بن ثابت عن النبي ﷺ قال : « فلو لا أن لا تدافنوا الدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه ، ثم

أقبل بوجهه فقال : تعوذوا بالله من عذاب النار . قالوا : نعوذ بالله من عذاب النار . فقال : تعوذوا بالله من عذاب القبر . قالوا : نعوذ بالله من عذاب القبر . قال : تعوذوا بالله من الفتنة ما ظهر منها وما بطن . قالوا : نعوذ بالله من الفتنة ما ظهر منها وما بطن . قال : تعوذوا بالله من فتنة الدجال . قالوا : نعوذ بالله من فتنة الدجال»^(١) .

وأما نعيم القبر فللمؤمنين الصادقين قال الله تعالى : «إِنَّ الَّذِينَ قَاتُلُوا رَبِّنَا اللَّهَ ثُمَّ أَسْتَقْرُمُوا تَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَا تَخَافُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ» [سورة فصلت ، الآية : ٤١] .

وقال تعالى : «فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُولُمَّ * وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تُنْظَرُونَ * وَتَحْنُنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكُنْ لَا تُبْصِرُونَ * فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ عِزَّ مَدِينَنَ * تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَدِيقِينَ * فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ * فَرُوحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٌ» [سورة الواقعة ، الآيات : ٨٣-٨٩] .

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال في المؤمن إذا أجاب الملائكة في قبره : «ينادي مناد من السماء أن صدق عبدي ، فأفرشوه من الجنة ، وألبسوه من الجنة ، وافتتحوا له باباً إلى الجنة ، قال فيأتيه من روحها وطبيها ، ويفسح له في قبره مَدَّ بصره»^(٢) رواه أحمد وأبو داود في حديث طويل .

(١) رواه مسلم ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب : عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه .

(٢) أخرجه الإمام أحمد ٤/٢٨٧ ، وأبو داود ، كتاب السنة ، باب : المسألة في عذاب القبر ، والهيثمي في «جمع الزوائد» ٣/٤٩-٥٠ ، وأبو نعيم في «الحلية» ٨/١٠ ، وابن أبي شيبة في «المصنف» ٣/٣٧٤ ، والآجري في «الشريعة» ص ٣٢٧ ، وقال الهيثمي : «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح» .

وللإيمان باليوم الآخر ثمرات جليلة منها:

الأولى: الرغبة في فعل الطاعة والحرص عليها رجاء لثواب ذلك اليوم .

الثانية: الرهبة عند فعل المعصية والرضى بها خوفاً من عقاب ذلك اليوم.

الثالثة: تسلية المؤمن عما يفوته من الدنيا بما يرجوه من نعيم الآخرة وثوابها.

وقد أنكر الكافرون البعث بعد الموت زاعمين أن ذلك غير ممكن .

وهذا الزعم باطل دلّ على بطلانه الشرع، والحس، والعقل.

أما الشرع : فقد قال الله تعالى : ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ لَنْ يَعْثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّكُلَّمَنْ يَعْثُونَ بِمَا عَلِمْتُمْ وَذَلِكَ عَلَيْهِ يَسِيرٌ﴾ [سورة التغابن ، الآية: ٧] وقد اتفقت جميع الكتب السماوية عليه .

وأما الحسن : فقد أرى الله عباده إحياء الموتى في هذه الدنيا ، وفي سورة البقرة ، خمسة أمثلة على ذلك وهي :

المثال الأول: قوم موسى حين قالوا له: ﴿لَنْ تُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهَرًّا﴾ [سورة البقرة، الآية: ٥٥] فأماتهم الله تعالى، ثم أحياهم وفي ذلك يقول الله تعالى مخاطبًابني إسرائيل: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمْوَسِي لَنْ تُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهَرًّا فَأَخَذْتُمُ الصَّاعِقَةَ وَأَنْتُمْ تَنْظَرُونَ * ثُمَّ بَعَثْتُمُكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [سورة البقرة، الآيتين: ٥٦، ٥٥].

المثال الثاني: في قصة القتيل الذي اختصم فيه بنو إسرائيل، فأمرهم الله تعالى أن يذبحوا بقرة فيضربوه ببعضها ليخبرهم بمن قتلهم، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَاتَلُتُمْ نَفْسًا فَأَدَرَّهُ ثُمَّ فِيهَا وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِمَا كُنْتُمْ تَكْنُونَ * فَقُلْنَا أَضْرِبُوهُ بِعَصْبَانَهَا كَذَلِكَ يُعْلَمُ اللَّهُ الْمَوْقَعُ وَيُرِيكُمْ أَيْنَهُ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [سورة البقرة، الآيتين: ٧٢، ٧٣].

المثال الثالث: في قصة القوم الذين خرجوا من ديارهم فراراً من الموت وهم ألوه فأماتهم الله تعالى، ثم أحياهم وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَرَجُوا مِنْ دِيَرِهِمْ وَهُمُ الْأُلُوفُ حَذَرُ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوْتَأْثِمٌ أَخْيَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٤٣].

المثال الرابع: في قصة الذي مر على قرية ميته فاستبعد أن يحييها الله تعالى، فأماته الله تعالى مئة سنة، ثم أحياه وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَّةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنِّي يُحِيٌّ هَذِهِ الْأَرْضُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعْثَمْ قَالَ كَمْ لَيَشَّ قَالَ لَيَشَّ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَيَشَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَسَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهُ وَأَنْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلَا جَعَلَكَ ءَايَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ تُنْشِرُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا الْحَمَّا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٥٩].

المثال الخامس: في قصة إبراهيم الخليل حين سأله الله تعالى أن يريه

.....

كيف يحيي الموتى؟ فأمره الله تعالى أن يذبح أربعة من الطير، ويفرقهن أجزاء على الجبال التي حوله، ثم يناديهن فتلتهم الأجزاء بعضها إلى بعض، ويأتين إلى إبراهيم سعيًا، وفي ذلك يقول الله تعالى : «وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْقَرَ قَالَ أَوْلَمْ تَوْمَنْ قَالَ بَلَى وَلَا كُنْ لِيَطْمَئِنَ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الظَّيْرِ فَصُرْهُنَ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَ جُزْءًا ثُمَّ أَدْعُهُنَ يَا تَبَّانَكَ سَعِيًّا وَأَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» [سورة البقرة، الآية: ٢٦٠].

فهذه أمثلة حسية واقعية تدل على إمكانية إحياء الموتى، وقد سبقت الإشارة إلى ما جعله الله تعالى من آيات عيسى ابن مريم من إحياء الموتى وإخراجهم من قبورهم بإذن الله تعالى .

وأما دلالة العقل فمن وجهين :

أحدهما : أن الله تعالى فاطر السموات والأرض وما فيهما ، خالقهما ابتداء ، وال قادر على ابتداء الخلق لا يعجز عن إعادته ، قال الله تعالى : «وَهُوَ الَّذِي يَبْدُوا الْخَلَقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ» [سورة الروم ، الآية: ٢٧] وقال تعالى : «كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ» [سورة الأنبياء ، الآية: ١٠٤] وقال أمراً بالرد على من أنكر إحياء العظام وهي رميم : «قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ» [سورة يس ، الآية: ٧٩].

الثاني : أن الأرض تكون ميتة هامدة ليس فيه شجرة خضراء ، فينزل عليها المطر فتهتز خضراء حية فيها من كل زوج بحیج ، وال قادر على إحيائها

بعد موتها ، قادر على إحياء الأموات . قال الله تعالى : ﴿ وَمِنْ أَيَّنِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَعْرَضَ خَشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ أَهْتَرَتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا الْمُحِيطُ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [سورة فصلت ، الآية : ٣٩] وقال تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَرِّكًا فَأَنْبَتَنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ * وَالنَّخْلَ بَاسْقَدَتِ لَهَا طَلْعُ نَصِيدُ * رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَنَا بِهِ بَلَدَةً مَيَّتًا كَذَلِكَ الْحَرُوفُ ﴾ [سورة ق ، الآيات : ١١-٩] .

وقد ضللَّ قوم من أهل الزيف فأنكروا عذاب القبر ، ونعميه ، زاعمين أن ذلك غير ممكن لمخالفة الواقع ، قالوا فإنه لو كشف عن الميت في قبره لوجد كما كان عليه ، والقبر لم يتغير بسعة ولا ضيق .

وهذا الزعم باطل بالشرع ، والحسن ، والعقل :

أما الشرع : فقد سبقت النصوص الدالة على ثبوت عذاب القبر ، ونعميه في فقرة (ب) مما يلتحق بالإيمان باليوم الآخر .^(١)

وفي صحيح البخاري - من حديث - ابن عباس رضي الله عنهما قال : «خرج النبي ﷺ من بعض حيطان المدينة ، فسمع صوت إنسانين يعذبان في قبورهما»^(٢) وذكر الحديث ، وفيه : «أن أحدهما كان لا يستتر من البول» وفي - رواية - «من (بوله) وأنَّ الآخر كان يمشي بالنمية» .

وأما الحسن : فإن النائم يرى في منامه أنه كان في مكان فسيح بهيج يتنعم

(١) انظر : ص ١٠٣ .

(٢) رواه البخاري ، كتاب الوضوء ، باب : من الكبائر أن لا يستبراً من بوله . ومسلم ، كتاب الطهارة ، باب : الدليل على نجاسته البول ووجوب الاستبراء منه .

فيه، أو أنه كان في مكان ضيق موحش يتأمل منه، وربما يستيقظ أحياناً مما رأى، ومع ذلك فهو على فراشه في حجرته على ما هو عليه، والنوم أخوه الموت ولهذا سماه الله تعالى «وفاة» قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّ الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرِسِّلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُّسَمٍ﴾ [سورة الزمر، الآية: ٤٢].

وأما العقل: فإن النائم في منامه يرى الرؤيا الحق المطابقة للمواقع، وربما رأى النبي ﷺ على صفتة، ومن رأه على صفتة فقد رأه حقاً ومع ذلك فالنائم في حجرته على فراشه بعيداً عما رأى، فإن كان هذا مكناً في أحوال الدنيا، أفلا يكون مكناً في أحوال الآخرة؟!

وأما إعتمادهم فيما زعموه على أنه لو كشف عن الميت في قبره لوجد كما كان عليه، والقبر لم يتغير بسعة ولا ضيق، فجوابه من وجوه منها:
الأول: أنه لا تجوز معارضة ما جاء به الشرع بمثل هذه الشبهات الداحضة التي لو تأمل المعارض بها ما جاء به الشرع حق التأمل لعلم بطلان هذه الشبهات وقد قيل:

وكم من عائب قولًا صحيحاً وافتئه من الفهم السقيم

الثاني: أن أحوال البرزخ من أمور الغيب التي لا يدركها الحس، ولو كانت تدرك بالحس لفاقت فائدة الإيمان بالغيب، ولتساوي المؤمنون بالغيب، والجادون في التصديق بها.

الثالث: أن العذاب والنعيم وسعة القبر وضيقه إنما يدركها الميت

دون غيره ، وهذا كما يرى النائم في منامه أنه في مكان ضيق موحش ، أو في مكان واسع بهيج ، وهو بالنسبة لغيره لم يتغير منامه هو في حجرته وبين فراشه وغطائه . ولقد كان النبي ﷺ يوحى إليه وهو بين أصحابه فيسمعُ الوحي ، ولا يسمعه الصحابة ، وربما يتمثل له الملك رجلاً فيكلمه ، والصحابة لا يرون الملك ، ولا يسمعونه .

الرابع : أن إدراك الخلق محدود بما مكنهم الله تعالى من إدراكه ، ولا يمكن أن يدركوا كل موجود ، فالسموات السبع والأرض ومن فيهن ، وكل شيء يسبح بحمد الله تسبيحاً حقيقياً يسمعه الله تعالى من شاء من خلقه أحياناً . ومع ذلك هو محجوب عننا ، وفي ذلك يقول الله تعالى : ﴿تَسْبِحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسْبِحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنَّ لَا نَفْقَهُونَ تَسْبِحُهُمْ﴾ [سورة الإسراء ، الآية : ٤٤] وهكذا الشياطين ، والجن ، يسعون في الأرض ذهاباً وإياباً ، وقد حضرت الجن إلى رسول الله ﷺ واستمعوا لقراءته وأنصتوا ولوّا إلى قومهم منذرین . ومع هذا فهم محجوبون عنا وفي ذلك يقول الله تعالى : ﴿يَنْبَيِّنُ إِذَا دَمَ لَا يَقْنَنَنَّكُمُ الْشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبْوَيْنِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزَعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِرِيَهُمَا سَوْءَتِهِمَا إِنَّهُ يَرَنُكُمْ هُوَ وَقَيْلُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يُرَوُنُهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة الأعراف ، الآية : ٢٧] وإذا كان الخلق لا يدركون كل موجود ، فإنه لا يجوز أن ينكروا ما ثبت من أمور الغيب ، ولم يدركوه .

وَتُؤْمِنَ بِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ^(١). وَالْدَلِيلُ عَلَى هَذِهِ الْأَرْكَانَ السَّبَّةِ قَوْلُهُ

(١) القدر بفتح الدال: «تقدير الله تعالى للكائنات، حسبما سبق علمه، واقتضته حكمته».

والإيمان بالقدر يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بأن الله تعالى علم بكل شيء جملةً وتفصيلاً، أولاً وأبداً، سواء كان ذلك مما يتعلّق بأفعاله أو بأفعال عباده.

الثاني: الإيمان بأن الله كتب ذلك في اللوح المحفوظ، وفي هذين الأمرين يقول الله تعالى: ﴿أَلَّا تَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يُسِيرٌ﴾ [سورة الحج، الآية: ١٧٠].

وفي صحيح مسلم - عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهمما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة».^(١)

الثالث: الإيمان بأن جميع الكائنات لا تكون إلا بمشيئة الله تعالى، سواء كانت مما يتعلّق بفعل المخلوقين، قال الله تعالى فيما يتعلّق بفعله: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [سورة القصص، الآية: ٨٦]، وقال: ﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [سورة إبراهيم، الآية: ٢٧] وقال: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُ كُمْ فِي الْأَرْضَ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٦] وقال تعالى فيما يتعلّق بفعل المخلوقين: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَنْتُمُوهُمْ﴾ [سورة النساء، الآية: ٩٠] وقال: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوكُمْ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْرُونَ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١١٢].

(١) رواه مسلم، كتاب القدر، باب: ذكر حجاج آدم وموسى عليهمما السلام.

تعالى : ﴿ لَيْسَ الِّرَّأْنَ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الِّرَّأْنَ مَنْ

الرابع : الإيمان بأن جميع الكائنات مخلوقة لله تعالى بذواتها ، وصفاتها ، وحركاتها ، قال الله تعالى : ﴿ أَللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [سورة الزمر ، الآية : ٦٢] وقال : ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا ﴾ [سورة الفرقان ، الآية : ٢] وقال عن نبي الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام أنه قال لقومه : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [سورة الصافات ، الآية : ٩٦] .

والإيمان بالقدر على ما وصفنا لا ينافي أن يكون للعبد مشيئة في أفعاله الاختيارية وقدرة عليها ، لأن الشرع الواقع دالان على إثبات ذلك له .

أما الشرع : فقد قال الله تعالى في المشيئة : ﴿ فَمَنْ شَاءَ اتَّحَدَ إِلَى رَبِّهِ، مَنَّا بِأَمْرِهِ ﴾ [سورة النبأ ، الآية : ٣٩] وقال : ﴿ فَأَتُوا حَرَثَكُمْ أَنَّى شَتَّمْ ﴾ [سورة البقرة ، الآية : ٢٢٣] وقال في القدرة : ﴿ فَأَنْفَقُوا اللَّهُ مَا مَا أَسْتَطَعُمُ وَأَسْمَعُوا وَأَطْبَعُوا ﴾ [سورة التغابن ، الآية : ١٦] وقال : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا أَكْسَبَتْ ﴾ [سورة البقرة ، الآية : ٢٨٦] .

وأما الواقع : فإن كل إنسان يعلم أن له مشيئة وقدرة بهما يفعل وبهما يترك ، ويفرق بين ما يقع بإرادته كالمشي ، وما يقع بغير إرادته كالإرتعاش ، لكن مشيئة العبد وقدرته واقعتان بمشيئة الله تعالى ، وقدرتة لقول الله تعالى : ﴿ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ * وَمَا شَاءَ أَنْ يَسْأَلَهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة التكوير ، الآيتين : ٢٨ ، ٢٩] ولأن الكون كله ملك الله تعالى فلا يكون في ملكه شيء بدون علمه ومشيئته .

والإيمان بالقدر على ما وصفنا لا يمنح العبد حجة على ما ترك من

ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَبِ وَالْبَيِّنَاتِ» [سورة البقرة، الآية: ١٧٧]

الواجبات أو فعل من المعاشي، وعلى هذا فاحتاجه به باطل من وجوه:

الأول: قوله تعالى: «سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكَنَا وَلَا مَا بَأْتُنَا وَلَا حَرَمَنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَّابُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَنْبِعُونَ إِلَّا الظُّنُنُ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُغْرِصُونَ» [سورة الأنعام، الآية: ١٤٨] ولو كان لهم حجة بالقدر ما أذاهم الله بأسه.

الثاني: قوله تعالى: «رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا» [سورة النساء، الآية: ١٦٥] ولو كان القدر حجة للمخالفين لم تنتف بإرسال الرسل، لأن المخالفة بعد إرسالهم واقعة بقدر الله تعالى.

الثالث: ما رواه البخاري ومسلم واللفظ للبخاري عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ما منكم من أحد إلا قد كتب مقعده من النار أو من الجنة. فقال رجل من القوم: ألا نتكل يارسول الله؟ قال لا أعملوا فكل ميسير، ثم قرأ «فَأَمَّا مَنْ أَعْطَنَا وَلَنَقَ»^(١) الآية. وفي لفظ لمسلم: «فَكُلْ مِيسِرًا لِمَا خَلَقَ لَهُ»^(٢) فأمر النبي ﷺ بالعمل ونهى عن الإتكال على القدر.

الرابع: أن الله تعالى أمر العبد ونهاه، ولم يكلفه إلا ما يستطيع، قال الله تعالى: «فَأَنْقُوا اللَّهَ مَا أَسْتَطَعْتُمْ» [سورة التغابن، الآية: ١٦] وقال: «لَا يُكَلِّفُ

(١) رواه البخاري، كتاب التفسير.

(٢) رواه مسلم، كتاب القدر، باب كيفية الخلق الآدمي . . .

وَدَلِيلُ الْقَدْرِ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدْرٍ﴾ [سورة القمر، الآية: ٤٩]

الله نفسيًا إلا وسعها﴿ [سورة البقرة، الآية: ٢٨٦] ولو كان العبد مجبراً على الفعل لكن مكلفاً بما لا يستطيع الخلاص منه، وهذا باطل ولذلك إذا وقعت منه المعصية بجهل ، أو نسيان ، أو إكراه ، فلا إثم عليه لأنه معذور .

الخامس : أن قدر الله تعالى سر مكتوم لا يعلم به إلا بعد وقوع المقدور ، وإرادة العبد لما يفعله سابقة على فعله فتكون إرادته الفعل غير مبنية على علم منه بقدر الله ، وحيثئذ تنتفي حجته بالقدر إذ لا حجة للمرء فيما لا يعلمه .

ال السادس : أننا نرى الإنسان يحرص على ما يلائمه من أمور دنياه حتى يدركه ولا يعدل عنه إلى ما لا يلائمه ثم يحتاج على عدوه بالقدر ، فلماذا يعدل عما ينفعه في أمور دينه إلى ما يضره ثم يحتاج بالقدر؟ ! أفليس شأن الأمرتين واحداً؟ !

وإليك مثالاً يوضح ذلك : لو كان بين يدي الإنسان طريقان أحدهما ينتهي به إلى بلد كلها فوضى ، وقتل ، ونهب ، وانتهاءً للأعراض وخوف ، وجوع ، والثاني ينتهي به إلى بلد كلها نظام ، وأمن مستتب ، وعيش رغيد ، واحترام للنفوس والأعراض والأموال ، فأي الطريقين يسلك؟

إنه سيسلك الطريق الثاني الذي ينتهي به إلى بلد النظام والأمن ، ولا يمكن لأي عاقل أبداً أن يسلك طريق بلد الفوضى ، والخوف ، ويحتاج بالقدر ، فلماذا يسلك في أمر الآخرة طريق النار دون الجنة ويحتاج بالقدر؟ !

مثال آخر : نرى المريض يؤمِّر بالدواء فيشربه ونفسه لا تشتهيه ، وينهي عن الطعام الذي يضره فيتركه ونفسه تشتهيه ، كل ذلك طلباً للشفاء

.....

والسلامة، ولا يمكن أن يمتنع عن شرب الدواء أو يأكل الطعام الذي يضره ويحتاج بالقدر فلماذا يترك الإنسان ما أمر الله ورسوله، أو يفعل ما نهى الله ورسوله ثم يحتاج بالقدر؟

السابع: أن المحتاج بالقدر على ما تركه من الواجبات أو فعله من المعاصي، لو اعتدى عليه شخص فأخذ ماله أو انتهك حرمته ثم احتاج بالقدر، وقال: لا تلمني فإنّ اعتدائى كان بقدر الله، لم يقبل حجته. فكيف لا يقبل الإحتجاج بالقدر في اعتداء غيره عليه، ويحتاج به لنفسه في اعتدائه على حق الله تعالى؟

ويذكر أن - أمير المؤمنين - عمر بن الخطاب رضي الله عنه رفع إليه سارق استحق القطع ، فأمر بقطع يده فقال: مهلاً يا أمير المؤمنين ، فإنما سرقت بقدر الله . فقال: ونحن إنما نقطع بقدر الله .

وللإيمان بالقدر ثمرات جليلة منها:

الأولى: الاعتماد على الله تعالى ، عند فعل الأسباب بحيث لا يعتمد على السبب نفسه لأن كل شيء بقدر الله تعالى .

الثانية: أن لا يعجب المرء بنفسه عند حصول مراده ، لأن حصوله نعمة من الله تعالى ، بما قدره من أسباب الخير ، والنجاح ، واعجابه بنفسه ينسيه شكر هذه النعمة .

الثالثة: الطمأنينة ، والراحة النفسية بما يحرى عليه من أقدار الله تعالى فلا يقلق بفوات محبوب ، أو حصول مكروره ، لأن ذلك بقدر الله الذي له

ملك السموات والأرض، وهو كائن لا محالة وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَنْزَلَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [سورة الحديد، الآيتين: ٢٢، ٢٣] يقول النبي ﷺ: «عجبًا لأمر المؤمن إنَّ أمره كله خير، وليس ذلك لأحدٍ إلا للمؤمن إنْ أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإنْ أصابته ضراء صبر فكان خيراً له»^(١) رواه مسلم.

وقد ضل في القدر طائفتان:

إحداهما: الجبرية الذين قالوا إنَّ العبد مجبر على عمله وليس له فيه إرادة ولا قدرة.

الثانية: القدرية الذين قالوا إنَّ العبد مستقل بعمله في الإرادة والقدرة، وليس لمشيئة الله تعالى وقدره فيه أثر.

والرد على الطائفتين الأولى (الجبرية) بالشرع والواقع:
أما الشرع: فإن الله تعالى أثبت للعبد إرادة ومشيئة، وأضاف العمل إليه
قال الله تعالى: ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٥٢] وقال: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رِبِّكَمْ فَمَنْ شَاءَ فَلِيؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلِيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادُقُهَا﴾ [سورة الكهف، الآية: ٢٩] الآية. وقال: ﴿مَنْ عَمِلَ صَلِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ

(١) رواه مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب: المؤمن أمره كله خير.

لِلْعَيْدِ﴿﴾ [سورة فصلت، الآية: ٤٦].

وأما الواقع: فإن كل إنسان يعلم الفرق بين أفعاله الإختيارية التي يفعلها بإرادته كالأكل، والشرب، والبيع، والشراء، وبين ما يقع عليه بغير إرادته كالإرتعاش من الحمى، والسقوط من السطح، فهو في الأول فاعل مختار بإرادته من غير جبر، وفي الثاني غير مختار ولا مرید لما وقع عليه.

والرد على الطائفـة الثانية (القدريـة) بالشرع والعـقل.

أما الشرع: فإن الله تعالى خالق كل شيء، وكل شيء كائن بمشيـته، وقد بين الله تعالى في كتابه أن أفعال العباد تقع بمشيـته فقال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مَمَّا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنَّ أَخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَلَوْا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعُلُ مَا يُرِيدُ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٥٣] وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَا نَيَّنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدِّنَا وَلَكِنَّ حَقَّ الْقَوْلِ مِنِّي لَأَمَلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [سورة السجدة، الآية: ١٣].

واما العـقل: فإن الكون كله مملوك الله تعالى، والإنسان من هذا الكون فهو مملوك الله تعالى، ولا يمكن للمملوك أن يتصرف في ملك المالك إلا بإذنه ومشيـته.

المرتبة الثالثة: الإحسان، رَكْنٌ وَاحِدٌ وَهُوَ: «أَنْ تَعْبُدُ اللَّهَ كَائِنَكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ» وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ أَتَقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [سورة النحل، الآية: ١٢٨]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْغَنِيَّزِ الرَّحِيمِ﴾ * الَّذِي يَرَنِكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقْلِبَكَ فِي السَّجَدَيْنِ * إِنَّهُ هُوَ الْسَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [سورة الشعرا، الآيات: ٢١٧ - ٢٢٠] وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَاءْنِ وَمَا نَتَلَوْ مِنْهُ مِنْ قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾^(١) [سورة يونس، الآية: ٦١].

(١) الإحسان ضد الإساءة وهو أن يبذل الإنسان المعروف ويكتف الأذى فيبذل المعروف لعباد الله في ماله، وجاهه، وعلمه، وبدنه.

فأما المال فأأن ينفق ويتصدق ويزكي وأفضل أنواع الإحسان بالمال الزكاة، لأن الزكاة أحد أركان الإسلام، ومبانيه العظام، ولا يتم إسلام المرء إلا بها، وهي أحب النفقات إلى الله عز وجل، ويلي ذلك، ما يجب على الإنسان من نفقة لزوجته، وأمه، وأبيه، وذريته، وإخوانه، وبني إخوته، وأخواته، وأعمامه، وعماته، وخالاته إلى آخر هذا، ثم الصدقة على المساكين وغيرهم، مَنْ هُمْ أَهْل لِلصَّدَقَةِ كَطَلَابِ الْعِلْمِ مثلاً.

وأما بذل المعروف في الجاه فهو أن الناس مراتب، منهم من له جاه عند ذوي السلطان فيبذل الإنسان جاهه، يأتيه رجل فيطلب منه الشفاعة إلى ذي سلطان يشفع له عنده، إما بدفع ضرر عنه، أو بجلب خير له.

وأما بعلمه فإن يبذل علمه لعباد الله، تعليماً في الحلقات وال المجالس

العامة والخاصة، حتى لو كنت في مجلس قهوة، فإن من الخير والإحسان أن تعلم الناس، ولو كنت في مجلس عام فمن الخير أن تعلم الناس، ولكن استعمل الحكمة في هذا الباب، فلا تشغل على الناس حيث كلما جلست في مجلساً جعلت تعظهم وتتحدث إليهم، لأن النبي ﷺ كان يتخلو لهم بالموعدة، ولا يكثر، لأن النفوس تسام وتمل فإذا ملت كلت وضفت، وربما تكره الخير لكثرة من يقوم ويتكلّم.

وأما الإحسان إلى الناس بالبدن فقد قال النبي عليه الصلاة والسلام: «وعيَّن الرجل في دابته فتحمله عليها، أو ترفع عليها مtauعاً صدقة»^(١). فهذا رجل تعينه تحمل مtauعاً معه، أو تدلله على طريق أو ما أشبه ذلك فكل ذلك من الإحسان، هذا بالنسبة للإحسان إلى عباد الله.

وأما بالنسبة للإحسان في عبادة الله: فإن تعبد الله كأنك تراه، كما قال النبي ﷺ، وهذه العبادة أي عبادة الإنسان ربه كأنه يراه عبادة طلب وسوق، وعباده الطلب والسوق يجد الإنسان من نفسه حائناً عليها، لأنه يطلب هذا الذي يحبه، فهو يعبد كأنه يراه، فيقصده وينصب إليه ويتقرّب إليه سبحانه تعالى، «إِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكُ»، وهذه عبادة الهرب والخوف، ولهذا كانت هذه المرتبة الثانية في الإحسان، إذا لم تكن تعبد الله - عز وجل - كأنك تراه وتطلبه، وتحث النفس للوصول إليه فاعبده كأنه هو الذي يراك، فتعبده عبادة خائف منه، هارب من عذابه وعقابه، وهذه

(١) رواه البخاري، كتاب الجهاد، باب: فضل من حمل مtauعاً صاحبه. ومسلم، كتاب الزكاة، باب: بيان أن اسم الصدق يقع في كل نوع من المعروف.

.....

الدرجة عند أرباب السلوك أدنى من الدرجة الأولى .

وعبادة الله - سبحانه وتعالى - هي كما قال ابن القيم - رحمه الله - :

وعبادة الرحمن غاية حبه مع ذل عابده هما ركنا

فالعبادة مبنية على هذين الأمرين : غاية الحب ، وغاية الذل ، ففي الحب الطلب ، وفي الذل الخوف والهرب ، فهذا هو الإحسان في عبادة الله عز وجل .
وإذا كان الإنسان يعبد الله على هذا الوجه ، فإنه سوف يكون مخلصاً لله - عز وجل - لا يريد بعبادته رباء ولا سمعة ، ولا مدحًا عند الناس ، وسواء أطلع الناس عليه أم لم يطلعوا ، الكل عنده سواء ، وهو محسن العبادة على كل حال ، بل إن من قام بالإخلاص أن يحرص الإنسان على ألا يراه الناس في عبادته ، وأن تكون عبادته مع ربه سرًا ، إلا إذا كان في إعلان ذلك مصلحة للمسلمين أو للإسلام ، مثل أن يكون رجلاً متبعًا يقتدي به ، وأحب أن يبين عبادته للناس ليأخذوا من ذلك نبراسًا يسرون عليه ، أو كان هو يحب أن يظهر العبادة ليقتدي بها زملاؤه وقرناؤه وأصحابه ففي هذا خير ، وهذه المصلحة التي يلتفت إليها قد تكون أفضل وأعلى من مصلحة الإخفاء ، لهذا يشني الله - عز وجل - على الذين ينفقون أموالهم سرًا وعلانية ، فإذا كان السر أصلح وأنفع للقلب وأخشع وأشد إثابة إلى الله أسروا ، وإذا كان في الإعلان مصلحة للإسلام بظهور شرائعه ، وللمسلمين يقتدون بهذا الفاعل وهذا العامل أعلنوه .

والمؤمن ينظر ما هو الأصلح ، كلما كان أصلح وأنفع في العبادة فهو أكمل وأفضل .

وَالدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّةِ : حَدِيثُ جَبْرِائِيلُ الْمَشْهُورُ عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدٌ بَيَاضِ الثِّيَابِ ، شَدِيدٌ سَوَادِ الشَّعْرِ لَا يُرَى عَلَيْهِ أثْرٌ السَّفَرِ وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَ أَحَدٍ ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَسْنَدَ رُكْبَتِيهِ إِلَى رُكْبَتِيهِ ، وَوَضَعَ كَفَيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ وَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «الإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ ، وَتَقْيِيمُ الصَّلَاةِ ، وَتُؤْتِي الرِّزْكَةَ ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ ، وَتَحْجُجُ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً» قَالَ : صَدَقْتَ ، فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ . قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ ، قَالَ : «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ ، وَكُتُبِهِ ، وَرُسُلِهِ ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ» ، قَالَ : صَدَقْتَ ، قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ ، قَالَ : «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَائِنَكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ» ، قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ ، قَالَ : «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ» ، قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا ، قَالَ : «أَنْ تَلِدَ الْأُمَّةَ رَبَّتَهَا ، وَأَنَّ تَرَى الْحُفَّةَ الْعَرَاءَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ» قَالَ : فَمَضَى فَلَبِّشَا مَلِيَّاً فَقَالَ : «يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟» قُلْتُ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : «هَذَا جِبْرِيلُ أَتَأَكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُمْ» .^(١)

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب الإيمان والإسلام، وغالب هذا الحديث تقدم شرحه ولنا شرح عليه في مجموع الفتاوى والرسائل ١٤٣ / ٣.

الأَصْلُ الثَّالِثُ^(١) : مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ . وَهُوَ : مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ابْنُ عَبْدِ الْمُطَلِّبِ بْنِ هَاشِمٍ وَهَاشِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ ، وَقُرَيْشٌ مِنَ الْعَرَبِ ، وَالْعَرَبُ مِنْ دُرْرِيَّةِ إِسْمَاعِيلَ ، ابْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ ، عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا

(١) أي من الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها وهي معرفة العبدربه، ودينه، ونبيه.

وقد سبق الكلام على معرفة العبدربه ودينه.

وأما معرفة النبي ﷺ فتتضمن خمسة أمور :

الأول : معرفته نسباً فهو أشرف الناس نسباً فهو هاشمي قريشي عربي فهو محمد بن عبد الله بن عبدالمطلب بن هاشم إلى آخر ما قاله الشيخ رحمه الله.

الثاني : معرفة سنّه ، ومكان ولادته ، ومهاجرته وقد بينها الشيخ بقوله : «وله من العمر ثلاث وستون سنة ، وبلد مكة ، وهاجر إلى المدينة» فقد ولد بمكة وبقى فيها ثلاثة وخمسين سنة ، ثم هاجر إلى المدينة فبقي فيها عشر سنين ، ثم توفي فيها في ربيع الأول سنة إحدى عشرة بعد الهجرة.

الثالث : معرفة حياته النبوية وهي ثلاثة وعشرون سنة فقد أوحى إليه وله أربعون سنة كما قال أحد شعرائه :

وأدت عليه أربعون فأشرقت شمس النبوة منه في رمضان

الرابع : بماذا كاننبياً ورسولاً؟ فقد كاننبياً حين نزل عليه قوله تعالى : «أَقْرَأَ بِإِسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * أَقْرَأَ وَرَبِّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَمَ بِالْقَلْمَنِ * عَلَمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ» [سورة العلق ، الآيات : ٥-١] ، ثم كان رسولاً حين نزل عليه قوله تعالى : «يَاتَاكُمْ مَنْدَرٌ * قُرْفَانَدَرٌ * وَرَبِّكَ

أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامُ . وَلَهُ مِنْ الْعُمُرِ : ثَلَاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً ، مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ التُّبُوّةِ ، وَثَلَاثٌ وَعِشْرُونَ نَبِيًّا وَرَسُولًا ، نُبِيٌّ يَإِقْرَأُ . وَأَرْسَلَ بِالْمُدَّثِّرِ ، وَبَلْدُهُ مَكَّةَ ، وَهَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ .

بَعْثَةُ اللَّهِ بِالنَّذَارَةِ عَنِ الشَّرِّكِ ، وَيَدْعُونَ إِلَى التَّوْحِيدِ^(١) . وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : « يَا أَيُّهَا الْمَدِّرُ^(٢) قُرْفَانِدْرُ وَرَبُّكَ فَكِيرٌ * وَثِيَابَكَ فَطَهِيرٌ *

فَكِيرٌ * وَثِيَابَكَ فَطَهِيرٌ * وَالْجَزَّ فَاهْجُرٌ * وَلَا تَمْنَنْ تَسْتَكِيرٌ * وَلِرِبِّكَ فَأَصِيرٌ »
[سورة المدثر، الآيات: ١-٧] ، فقام عليه السلام فأنذر وقام بأمر الله عز وجل.

والفرق بين الرسول والنبي كما يقول أهل العلم: أن النبي هو من أوحى إليه بشرع ولم يؤمر بتبلیغه، والرسول من أوحى الله إليه بشرع وأمر بتبلیغه والعمل به فكل رسول نبي، وليس كلنبي رسولاً.

الخامس: بماذا أرسل ولماذا؟ فقد أرسل بتوحيد الله تعالى وشرعيته المتضمنة لفعل المأمور وترك المحظور، وأرسل رحمة للعالمين لإخراجهم من ظلمة الشرك والكفر والجهل إلى نور العلم والإيمان والتوحيد حتى ينالوا بذلك مغفرة الله ورضوانه وينجووا من عقابه وسخطه.

(١) أي ينذرهم عن الشرك ويدعوهم إلى توحيد الله عز وجل في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته .

(٢) النداء لرسول الله عليه السلام .

(٣) يأمر الله عز وجل نبيه عليه السلام أن يقوم بجد ونشاط وينذر الناس عن الشرك ويحذرهم منه وقد فسر الشيخ هذه الآيات .

وَالرُّجْزَ فَاهْجِرْ * وَلَا تَمْنَنْ سَتَكِيرْ * وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ» [سورة المدثر، الآيات: ١-٧]. وَمَعْنَى «قُرْ فَانِذْ» : يُنذِرُ عَنِ الشَّرِكِ وَيَدْعُونَ إِلَى التَّوْحِيدِ. «وَرَبِّكَ فَكِيرْ» أَيْ : عَظَمُهُ بِالتَّوْحِيدِ، «وَثِيَابَكَ فَطَهِرْ» أَيْ : طَهَرَ أَعْمَالَكَ عَنِ الشَّرِكِ. «وَالرُّجْزَ فَاهْجِرْ» الرُّجْزُ : الْأَصْنَامُ وَهَجْرُهَا تَرْكُهَا، وَالبَرَاءَةُ مِنْهَا وَأَهْلِهَا.

أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ يَدْعُونَ إِلَى التَّوْحِيدِ^(١) وَبَعْدَ الْعَشْرِ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ^(٢)،

(١) أَيْ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، بَقِيَ عَشْرَ سِنِينَ يَدْعُونَ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَفْرَادَهُ بِالْعِبَادَةِ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(٢) العروج الصعود وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : «تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ» [سورة المعارج، الآية: ٤] وَهُوَ مِنْ خَصَائِصِ النَّبِيِّ ﷺ الْعَظِيمَةِ الَّتِي فَضَلَّهُ اللَّهُ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَهَا جَرِ منْ مَكَةَ، فَبَيْنَمَا هُوَ نَائِمٌ فِي الْحَجَرِ فِي الْكَعْبَةِ أَتَاهُ آتٍ فَشَقَّ مَا بَيْنَ ثَغْرَةِ نَحْرِهِ إِلَى أَسْفَلِ بَطْنِهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَ قَلْبَهُ فَمَلَأَهُ حِكْمَةٌ وَإِيمَانًا تَهْيَئَةً لِمَا سِيقَوْهُ بَعْدَ أَنْ تَأْتِي بِيَضَاءَ دُونِ الْبَغْلِ وَفَوْقِ الْحَمَارِ يَقَالُ لَهَا الْبَرَاقُ يَضْعُ خَطْوَهُ عِنْدَ مِنْتَهِي طَرْفِهِ فَرَكَبَهُ ﷺ وَبِصَاحِبِهِ جَبَرِيلَ الْأَمِينَ حَتَّى وَصَلَّ بَيْتَ الْمَقْدِسِ فَنَزَلَ هُنَاكَ وَصَلَّى بِالْأَنْبِيَاءِ إِمَامًا بِكُلِّ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمَرْسِلِينَ يَصْلُونَ خَلْفَهُ لِيَتَبَيَّنَ بِذَلِكَ فَضْلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَشَرْفُهُ وَأَنَّهُ الْإِمَامُ الْمُتَبَعُ، ثُمَّ عَرَجَ بِهِ جَبَرِيلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَاسْتَفْتَحَ فَقِيلَ مِنْ هَذَا؟ قَالَ : جَبَرِيلُ . قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ . قِيلَ : وَقَدْ أُرْسَلَ إِلَيْهِ؟

قال : نعم . قيل : مرحباً به فنعم المجرى جاء ففتح له فوجد فيها آدم فقال جبريل : هذا أبوك آدم فسلم عليه ، فسلم عليه فرد عليه السلام ، وقال مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح ، وإذا على يمين آدم أرواح السعداء وعلى يساره أرواح الأشقياء من ذريته فإذا نظر إلى اليمين سر وضحك وإذا نظر قبل شماليه بكى ، ثم عرج به جبريل إلى السماء الثانية فاستفتح . . إلخ . فوجد فيها يحيى وعيسى عليهما الصلاة والسلام وهما ابنا الحالة كل واحد منهمما ابن حالة الآخر فقال جبريل : هذان يحيى وعيسى فسلم عليهما فسلم عليهما ، فردا السلام وقالا : مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح ، ثم عرج به جبريل إلى السماء الثالثة فاستفتح . . إلخ . فوجد فيها يوسف عليه فسلم عليه ، فرد السلام ، وقال مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح ، ثم عرج به جبريل إلى السماء الرابعة فاستفتح . . إلخ . فوجد فيها إدريس عليه السلام فقال جبريل هذا إدريس فسلم عليه فسلم عليه فرد السلام ، وقال : مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح ثم عرج به جبريل إلى السماء الخامسة فاستفتح . . إلخ . فوجد فيها هارون بن عمران أخا موسى عليه السلام فقال جبريل هذا هارون فسلم عليه ، فسلم عليه فرد عليه السلام وقال مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح ثم عرج به جبريل إلى السماء السادسة فاستفتح . . إلخ . فوجد فيها موسى عليه السلام فقال جبريل هذا موسى فسلم عليه ، فسلم عليه فرد عليه السلام وقال مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح فلما تجاوزه بكى موسى فقيل له ما يبكيك قال : «أبكي لأن غلاماً

بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر من يدخلها من أمتي» فكان بكاء موسى حزناً على ما فاتته من الفضائل لا حسدًا لأمة محمد ﷺ، ثم عرج به جبريل إلى السماء السابعة فاستفتح . . . إلخ . فوجد فيها إبراهيم خليل الرحمن ﷺ فقال جبريل : هذا أبوك إبراهيم فسلم عليه ، فسلم عليه فرد عليه السلام وقال مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح . وإنما طاف جبريل برسول الله ﷺ ، على هؤلاء الأنبياء تكريماً له وإظهاراً لشرفه وفضله ﷺ وكان إبراهيم الخليل مسنداً ظهره إلى البيت المعمور في السماء السابعة الذي يدخله كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة يتبعدون ويصلون ثم يخرجون ولا يعودون في اليوم الثاني يأتي غيرهم من الملائكة الذين لا يخصهم إلا الله ، ثم رفع النبي ﷺ إلى سدرة المنتهى فغشيتها من أمر الله من البهاء والحسن ما غشيتها حتى لا يستطيع أحد أن يصفها من حسنها ثم فرض الله عليه الصلاة خمسين صلاة كل يوم وليلة فرضي بذلك وسلم ثم نزل فلما مر بموسى قال : ما فرض ربك على أمتك ؟ قال : خمسين صلاة في كل يوم . فقال : إن امتك لا تطيق ذلك وقد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعاجلة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك . قال النبي ﷺ فرجعت فوضع عني عشرًا وما زال يراجع ربه حتى استقرت الفريضة على خمس ، فنادى مناد أمضيت فريضتي وخففت على عبادي . وفي هذه الليلة أدخل النبي ﷺ الجنة فإذا فيها قباب اللؤلؤ وإذا تراها المسك ثم نزل رسول الله ﷺ حتى أتى مكة بغلس وصلى فيها الصبح .^(١)

(١) أخرجه البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب : ذكر الملائكة . ومسم ، كتاب الإيمان ، باب : الإسراء برسول الله ﷺ وفرض الصلوات .

وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَصَلَّى فِي مَكَّةَ ثَلَاثَ سِنِينَ^(١)،
وَبَعْدَهَا أَمْرَ بِالْهِجْرَةِ^(٢) إِلَى الْمَدِينَةِ

(١) وكان يصلی الرباعية ركعتين حتى هاجر إلى المدينة فأقرت صلاة السفر وزيد في صلاة الحضر .

(٢) أمر الله عز وجل نبيه محمد ﷺ بالهجرة إلى المدينة لأن أهل مكة منعوه أن يقيم دعوته، وفي شهر ربيع الأول من العام الثالث عشر منبعثة وصل النبي ﷺ إلى المدينة مهاجراً من مكة البلد الأول للوحى وأحب البلاد إلى الله ورسوله، خرج من مكة مهاجراً بإذن ربه بعد أن قام بمكة ثلاث عشرة سنة يبلغ رسالة ربه ويدعو إليه على بصيرة فلم يجد من أكثر قريش وأكابرهم سوى الرفض لدعوته والإعراض عنها، والإيذاء الشديد للرسول ﷺ، ومن آمن به حتى آل الأمر بهم إلى تنفيذ خطة المكر والخداع لقتل النبي ﷺ حيث اجتمع كبراؤهم في دار الندوة وتشاوروا ماذا يفعلون برسول الله ﷺ حين رأوا أصحابه يهاجرون إلى المدينة وأنه لابد أن يلحق بهم ويجد النصرة والعون من الأنصار الذين بايعوه على أن يمنعوه مما يمنعون منه أبناءهم ونساءهم وحيثئذ تكون له الدولة على قريش، فقال عدو الله أبو جهل الرأي أن نأخذ من كل قبيلة فتى شاباً جلداً ثم نعطي كل واحد سيفاً صارماً ثم يعمدوا إلى محمد فيضربوه ضربة رجل واحد فيقتلوه ونستريح منه فيتفرق دمه في القبائل فلا يستطيع بنو عبد مناف - يعني عشيرة النبي ﷺ - أن يحاربوا قومهم جميعاً فيفرضون بالدية فنعطيهم إياها .

فأعلم الله نبيه ﷺ بما أراد المشركون وأذن له بالهجرة وكان أبو بكر رضي الله عنه قد تجهز من قبل للهجرة إلى المدينة فقال له النبي ﷺ على رسرك فإني أرجو أن يؤذن لي فتأخر أبو بكر رضي الله عنه ليصحب النبي ﷺ، قالت عائشة رضي الله عنها في بينما نحن في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة في منتصف النهار إذا برسول الله ﷺ على الباب مقتنعاً فقال أبو بكر فداء له أبي وأمي والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر فدخل النبي ﷺ وقال لأبي بكر: أخرج من عندك. فقال: إنما هم أهلك بأبي أنت وأمي. فقال النبي ﷺ قد أذن لي في الخروج فقال أبو بكر: الصحبة يا رسول الله. قال: نعم. فقال: يا رسول الله فخذ إحدى راحلتي هاتين. فقال النبي ﷺ: بالثمن ثم خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر فأقاما في غار جبل ثور ثلاث ليال بيته عندهما عبدالله بن أبي بكر وكان غلاماً شاباً ذكياً واعياً فينطلق في آخر الليل إلى مكة فيصبح من قريش فلا يسمع بخبر حول النبي ﷺ وصاحبه إلا وعاه حتى يأتي به إليهما حين يختلط الظلام، فجعلت قريش تطلب النبي ﷺ من كل وجه وتسعى بكل وسيلة ليدركوا النبي ﷺ حتى جعلوا من يأتي بهما أو بأحد هما ديته مئة من الإبل، ولكن الله كان معهما يحفظهما بعينيته ويرعاهما برعايته حتى إن قريشاً ليقفون على باب الغار فلا يرونهم. قال، أبو بكر رضي الله عنه قلت للنبي ﷺ ونحن في الغار لو أن أحد هم نظر إلى قدميه لأبصرنا. فقال: «لا تخزن إن الله معنا، ما ظنك يا أبو بكر باثنين الله ثالثهما». ^(١) حتى إذا سكن الطلب عنهما قليلاً خرجا من

(١) أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب المهاجرين وفضلهما، ومسلم، =

وَالْهِجْرَةُ: الِّإِنْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الشَّرْكِ إِلَى بَلَدِ الْإِسْلَامِ^(١)

الغار بعد ثلات ليال متوجهين إلى المدينة على طريق الساحل.

ولما سمع أهل المدينة من المهاجرين والأنصار بخروج رسول الله ﷺ إليهم كانوا يخرجون صباح كل يوم إلى الحرة ينتظرون قدوم رسول الله ﷺ، وصاحبته حتى يطردهم حر الشمس، فلما كان اليوم الذي قدم فيه رسول الله ﷺ وتعالى النهار واشتد الحر رجعوا إلى بيوتهم وإذا رجل من اليهود على أطام من آطام المدينة ينظر لحاجة له فأبصر رسول الله ﷺ وأصحابه مقبلين يزول بهم السراب فلم يملك أن نادى بأعلى صوته يا معاشر العرب هذا جدكم يعني هذا حظكم وعزكم الذي تنتظرون فهبّ المسلمين للقاء رسول الله ﷺ معهم السلاح تعظيمًا وإجلالًا لرسول الله ﷺ وإيزانًا بإستعدادهم للجهاد والدفاع دونه رضي الله عنهم فتلقوه ﷺ بظاهر الحرّة فعدل بهم ذات اليمين ونزل في بني عمرو بن عوف في قباء، وأقام فيهم بضع ليال وأسس المسجد، ثم ارتحل إلى المدينة والناس معه وآخرون يتلقونه في الطرق قال أبو بكر رضي الله عنه خرج الناس حين قدمنا المدينة في الطرق وعلى البيوت والغلمان والخدم يقولون الله أكبر جاء رسول الله ، الله أكبر جاء محمد .

(١) الهجرة في اللغة: «مأخذة من الهجر وهو الترك».

وأما في الشرع فهي كما قال الشيخ: «الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام». وبلد الشرك هو الذي تقام فيها شعائر الكفر ولا تقام فيه شعائر الإسلام كالاذان والصلوة جماعة، والأعياد، والجمعة على وجه

وَالْهِجْرَةُ فَرِيْضَةٌ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ بَلَدِ الشَّرِّكِ إِلَى بَلَدِ الإِسْلَامِ^(١) ، وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ . وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : « إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَا كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعِفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَنَهَا حِرْرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا * إِلَّا الْمُسْتَضْعِفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالِّسَّاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا * فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفْوًا غَفُورًا »^(٢) [سورة النساء، الآيات: ٩٧-٩٩].

عام شامل، وإنما قلنا على وجه عام شامل ليخرج ما تقام فيه هذه الشعائر على وجه محصور كبلاد الكفار التي فيها أقليات مسلمة فإنها لا تكون بلاد إسلام بما تقيمه الأقليات المسلمة فيها من شعائر الإسلام، أما بلاد الإسلام فهي البلاد التي تقام فيها هذه الشعائر على وجه عام شامل.

(١) فهي واجبة على كل مؤمن لا يستطيع إظهار دينه في بلد الكفر فلا يتم إسلامه إذا كان لا يستطيع إظهاره إلا بالهجرة، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

(٢) في هذه الآية دليل على أن هؤلاء الذين لم يهاجروا مع قدرتهم على الهجرة أن الملائكة تتوفهم وتوبخهم وتقول لهم ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها، أما العاجزون عن الهجرة من المستضعفين فقد عفا الله عنهم لعجزهم عن الهجرة ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ يَعْبَادِي الَّذِينَ أَمْنَوْا إِنَّ أَرْضِي وَسِعَةٌ فَإِيَّنِي فَأَعْبُدُونَ ﴾ [سورة العنكبوت، الآية: ٦٥] **قَالَ الْبَغْوَيُ - رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى - :** سَبَبُ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ فِي الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ بِمَكَّةَ لَمْ يُهَاجِرُوا؛ نَادَاهُمُ اللَّهُ يَاسِمُ الْأَيْمَانَ^(١). وَالدَّلِيلُ عَلَى الْهِجْرَةِ مِنَ السُّنْنَةِ قَوْلُهُ ﷺ : « لَا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ وَلَا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا »^(٢).

(١) الظاهر أن الشيخ رحمه الله نقل هذا عن البغوي بمعناه، هذا إن كان نقله من التفسير إذ ليس المذكور في تفسير البغوي لهذه الآية بهذا اللفظ.

(٢) وذلك حين انتهاء العمل الصالح المقبول قال الله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ مَا يَنْتَهَى رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَنَتْهَا تَكُنْ مَاءَمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانَهَا خَيْرًا ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١٥٨] والمراد ببعض الآيات هنا طلوع الشمس من مغربها.

(تمة) نذكر هنا حكم السفر إلى بلاد الكفر.

فنقول: السفر إلى بلاد الكفار لا يجوز إلا بثلاثة شروط:

الشرط الأول: أن يكون عند الإنسان علم يدفع به الشبهات.

الشرط الثاني: أن يكون عنده دين يمنعه من الشهوات.

* أخرجه أبو داود، كتاب الجهاد، باب: في الهجرة هل انقطعت. وأحمد ج ١ ص ١٩٢ . والدرامي، كتاب السير، باب: أن الهجرة لا تنقطع، والهيثمي في «مجموع الزواائد» ج ٥ ص ٢٥ ، وقال: «روى أبو داود والنسائي بعض حديث معاوية - ورواه أحمد والطبراني في الأوسط والصغير من غير حديث ابن السعدي - وروجالي أحمد ثقات -».

الشرط الثالث : أن يكون محتاجاً إلى ذلك .

فإن لم تتم هذه الشروط فإنه لا يجوز السفر إلى بلاد الكفار لما في ذلك من الفتنة أو خوف الفتنة وفيه إضاعة المال لأن الإنسان ينفق أموالاً كثيرة في هذه الأسفار .

أما إذا دعت الحاجة إلى ذلك لعلاج أو تلقي علم لا يوجد في بلده وكان عنده علم ودين على ما وصفنا فهذا لا بأس به .

وأما السفر للسياحة في بلاد الكفار فهذا ليس بحاجة وبإمكانه أن يذهب إلى بلاد إسلامية يحافظ أهلها على شعائر الإسلام ، وببلادنا الآن والحمد لله أصبحت بلاداً سياحية في بعض المناطق فيإمكانه أن يذهب إليها ويقضى زمان إجازته فيها .

وأما الإقامة في بلاد الكفار فإن خطرها عظيم على دين المسلم ، وأخلاقه ، وسلوكه ، وأدابه وقد شاهدنا وغيرنا انحراف كثير من أقاموا هناك فرجعوا بغير ما ذهبوا به ، رجعوا فساقاً ، وبعضهم رجع مرتدًا عن دينه وكافراً به وبسائر الأديان - والعياذ بالله - حتى صاروا إلى الجحود المطلق والاستهزاء بالدين وأهله السابقين منهم واللاحقين ، ولهذا كان ينبغي بل يتعدى التحفظ من ذلك ووضع الشروط التي تمنع من الهوى في تلك المهالك .

فالإقامة في بلاد الكفر لابد فيها من شرطين أساسين :

الشرط الأول : أمن المقيم على دينه بحيث يكون عنده من العلم والإيمان ،

.....

وقفة العزيمة ما يطمئنه على الثبات على دينه والحذر من الانحراف والزيغ، وأن يكون مضمرًا العداوة الكافرين وبغضهم مبتعدًا عن مواليتهم، ومحبتهم، فإن مواليتهم ومحبتهم مما ينافي الإيمان بالله قال تعالى: ﴿لَا يَحْدُثُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادِعُونَ مَنْ حَادَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا أَبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [سورة المجادلة، الآية: ٢٢] الآية: وقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَنْتَهِدُوا إِلَيْهِودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْ لِيَهُودَ بَعْضُهُمْ أَوْ لِيَهُودَ بَعْضٌ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَإِنَّهُمْ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * قَرَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرْضٌ يُسَرِّعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىَ أَنْ تُصِيبَنَا دَأْبُرٌ فَعَسَىَ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصَبِّحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَدِيمِينَ﴾ [سورة المائدة، الآيتين: ٥١، ٥٢] وثبت في الصحيح عن النبي ﷺ: «أن من أحب قوماً فهو منهم، وأن المرء مع من أحب»^(١).

وحبة أعداء الله من أعظم ما يكون خطراً على المسلم لأن محبتهم تستلزم موافقتهم واتباعهم، أو على الأقل عدم الإنكار عليهم ولذلك قال النبي ﷺ: «من أحب قوماً فهو منهم»^(١).

الشرط الثاني: أن يتمكن من إظهار دينه بحيث يقوم بشعائر الإسلام بدون ممانع، فلا يمنع من إقامة الصلاة والجمعة والجماعات إن كان معه من يصلی جماعة ومن يقيم الجمعة، ولا يمنع من الزكاة والصيام والحج وغيرها من شعائر الدين، فإن كان لا يتمكن من ذلك لم تجز الإقامة

(١) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب: علامه حب الله عز وجل. ومسلم، كتاب الصلة، باب: المرء مع من أحب.

لوجوب الهجرة حينئذ، قال في المغني ص ٤٥٧ ج ٨ في الكلام على أقسام الناس في الهجرة: أحدها من تجب عليه وهو من يقدر عليها ولا يمكنه إظهار دينه، ولا تمكنه من إقامة واجبات دينه مع المقام بين الكفار فهذا تجب عليه الهجرة لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَقَّعُونَا مُلَائِكَةً ظَالِمِيَّ أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَهُنَّا حِرْرُوا فِيهَا فَأَوْلَئِكَ مَا وَبَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [سورة النساء، الآية: ٩٧]. وهذا وعيد شديد يدل على الوجوب، ولأن القيام بواجب دينه واجب على من قدر عليه، والهجرة من ضرورة الواجب وتمته، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب. اهـ.

وبعد تمام هذين الشرطين الأساسيين تنقسم الإقامة في دار الكفر إلى أقسام:

القسم الأول: أن يقيم للدعوة إلى الإسلام والترغيب فيه فهذا نوع من الجهاد فهي فرضاً كفاية على من قدر عليها، بشرط أن تتحقق الدعوة وأن لا يوجد من يمنع منها أو من الاستجابة إليها، لأن الدعوة إلى الإسلام من واجبات الدين وهي طريقة المرسلين وقد أمر النبي ﷺ بالتبليغ عنه في كل زمان ومكان فقال ﷺ: «بلغوا عنى ولو آية»^(١).

القسم الثاني: أن يقيم لدراسة أحوال الكافرين والتعرف على ما هم عليه من فساد العقيدة، وبطلان التعبد، وانحلال الأخلاق، وفوضوية

(١) رواه البخاري، كتاب الأنبياء، باب: ما ذكر عن بنى إسرائيل.

السلوك؛ ليحذر الناس من الاغترار بهم، ويبين للمعجبين بهم حقيقة حالهم، وهذه الإقامة نوع من الجهاد أيضاً لما يترب عليها من التحذير من الكفر وأهله المتضمن للترغيب في الإسلام وهديه، لأن فساد الكفر دليل على صلاح الإسلام، كما قيل: وبضدتها تبين الأشياء. لكن لابد من شرط أن يتحقق مراده بدون مفسدة أعظم منه، فإن لم يتحقق مراده بأن منع من نشر ما هم عليه والتحذير منه فلافائدة من إقامته، وإن تحقق مراده مع مفسدة أعظم مثل أن يقابلوا فعله بسب الإسلام ورسول الإسلام وأئمة الإسلام وجب الكف لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْبِّحُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدُواً بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَلَيَتَهُمْ يَعْمَلُونَ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١٠٨].

ويشبه هذا أن يقيم في بلاد الكفر ليكون عيناً للمسلمين؛ ليعرف ما يدبروه للمسلمين من المكاييد فيحذرهم المسلمون، كما أرسل النبي ﷺ حذيفة بن اليمان إلى المشركين في غزوة الخندق ليعرف خبرهم.^(١)

القسم الثالث: أن يقيم حاجة الدولة المسلمة وتنظيم علاقاتها مع دول الكفر كموظفي السفارات فحكمها حكم ما أقام من أجله. فالملحق الثقافي مثلاً يقيم ليرعى شؤون الطلبة ويراقبهم ويحملهم على التزام دين الإسلام وأخلاقه وأدابه، فيحصل بإقامته مصلحة كبيرة ويندريء بها شر كبير.

القسم الرابع: أن يقيم حاجة خاصة مباحثة كالتجارة والعلاج فتباح الإقامة بقدر الحاجة، وقد نص أهل العلم رحمهم الله على جواز دخول

(١) صحيح مسلم، كتاب الجهاد، باب غزوة الأحزاب.

.....

بلاد الكفر للتجارة وأثروا ذلك عن بعض الصحابة رضي الله عنهم .

القسم الخامس : أن يقيم للدراسة وهي من جنس ما قبلها إقامة حاجة لكنها أخطر منها وأشد فتكاً بدين المقيم وأخلاقه ، فإن الطالب يشعر بدنو مرتبته وعلو مرتبة معلميه ، فيحصل من ذلك تعظيمهم والاقتناع بآرائهم وأفكارهم وسلوكهم فيقلدهم إلا من شاء الله عصمته وهم قليل ، ثم إن الطالب يشعر بحاجته إلى معلمه فيؤدي ذلك إلى التودد إليه ومداهنته فيما هو عليه من الانحراف والضلal . والطالب في مقر تعلمه له زملاء يتخذون منهم أصدقاء يحبهم ويتولاهم ويكتسب منهم ، ومن أجل خطر هذا القسم وجوب التحفظ فيه أكثر مما قبله فيشترط فيه بالإضافة إلى الشرطين **الأساسيين شروط :**

الشرط الأول : أن يكون الطالب على مستوى كبير من النضوج العقلي الذي يميز به بين النافع والضار وينظر به إلى المستقبل البعيد فأما بعث الأحداث «صغر السن» وذوي العقول الصغيرة فهو خطر عظيم على دينهم ، وخلقهم ، وسلوكهم ، ثم هو خطر على أمتهم التي سيرجعون إليها وينفتون فيها من السموم التي نهلوها من أولئك الكفار كما شهد ويشهد به الواقع ، فإن كثيراً من أولئكم المبعوثين رجعوا بغير ما ذهبوا به ، رجعوا منحرفين في ديانتهم ، وأخلاقهم ، وسلوكهم ، وحصل عليهم وعلى مجتمعهم من الضرر في هذه الأمور ما هو معلوم مشاهد ، وما مثل بعث هؤلاء إلا كمثل تقديم النعاج للكلاب الضاربة .

الشرط الثاني: أن يكون عند الطالب من علم الشريعة ما يتمكن به من التمييز بين الحق والباطل، ومقارعة الباطل بالحق لئلا ينخدع بما هم عليه من الباطل فيظنه حقًا أو يلتبس عليه أو يعجز عن دفعه فيبقى حيران أو يتبع الباطل.

وفي الدعاء المأثور «اللهم أرنى الحق حقًا وارزقني اتباعه، وأرنى الباطل باطلًا وارزقني اجتنابه، ولا تجعله ملتبسا على فأضل».

الشرط الثالث: أن يكون عند الطالب دين يحميه ويتحصن به من الكفر والفسوق، فضعف الدين لا يسلم مع الإقامة هناك إلا أن يشاء الله وذلك لقوة المهاجم وضعف المقاوم، فأسباب الكفر والفسوق هناك قوية وكثيرة متنوعة فإذا صادفت محلاً ضعيف المقاومة عملت عملها.

الشرط الرابع: أن تدعوا الحاجة إلى العلم الذي أقام من أجله بأن يكون في تعلمه مصلحة للمسلمين ولا يوجد له نظير في المدارس في بلادهم، فإن كان من فضول العلم الذي لا مصلحة فيه للمسلمين أو كان في البلاد الإسلامية من المدارس نظيره لم يجز أن يقيم في بلاد الكفر من أجله لما في الإقامة من الخطر على الدين والأخلاق، وإضاعة الأموال الكثيرة بدون فائدة.

القسم السادس: أن يقيم للسكن وهذا أخطر مما قبله وأعظم لما يترتب عليه من المفاسد بالاختلاط التام بأهل الكفر وشعوره بأنه مواطن ملتزم بما تقتضيه الوطنية من مودة، وموالاة، وتکثير لسوداد الكفار، ويتربى أهله

بين أهل الكفر فياخذون من أخلاقهم وعاداتهم، وربما قلدوهم في العقيدة والتبعيد ولذلك جاء في الحديث عن النبي ﷺ: «من جامع المشرك وسكن معه فهو مثله»^(١). وهذا الحديث وإن كان ضعيف السند لكن له وجهة من النظر فإن المساكنة تدعو إلى المشاكلة، وعن قيس بن حازم عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين، قالوا يا رسول الله ولم؟ قال: لا تراءى نارهما»^(٢). رواه أبو داود والترمذى وأكثر الرواية رواه مرسلاً عن قيس بن حازم عن النبي ﷺ، قال الترمذى سمعت محمدًا - يعني البخارى - يقول الصحيح حديث قيس عن النبي ﷺ، مرسلاً . اهـ . وكيف تطيب نفس مؤمن أن يسكن في بلاد كفار تعلن فيها شعائر الكفر ويكون الحكم فيها لغير الله ورسوله وهو يشاهد ذلك بعينه ويسمعه بأذنيه ويرضى به ، بل ينتسب إلى تلك البلاد ويسكن فيها بأهله وأولاده ويطمئن إليها كما يطمئن إلى بلاد المسلمين مع ما في ذلك من الخطر العظيم عليه وعلى أهله وأولاده في دينهم وأخلاقهم .

هذا ما توصلنا إليه في حكم الإقامة في بلاد الكفر نسأل الله أن يكون موافقاً للحق والصواب.

三

(١) رواه أبو داود، كتاب الجهاد، باب: الإقامة بأرض المشركين.

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب الجهاد، باب: النهي عن قتل من اعتصم بالسجود. والترمذى، كتاب السير، باب: ما جاء في كراهة المقام بين اظهر المشركين.

فَلَمَّا اسْتَقَرَ بِالْمَدِينَةِ أَمْرَ بِيَقِيَّةِ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ مِثْلُ : الزَّكَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالْحِجَّةِ، وَالْجِهَادِ، وَالْأَذَانِ، وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ^(١).

(١) يقول المؤلف رحمه الله تعالى: لما استقر - أي النبي ﷺ - في المدينة النبوية أمر بيقة ^{هـ} لام وذلك أنه في مكة دعا إلى التوحيد نحو عشر سنـ ^{هـ} ، عليه الصلوـات الخـمس في مـكة، ثم هاجر إلى المـدينة لا الصـيام ولا الحـجـ وـلا غيرـها من شـعـائر الله أنـ الزـكـاة فـرضـت أـصـلـاً وـتـفصـيـلاً في أنـ الزـكـاة فـرضـت أـولـاً في مـكة لكنـها لم تـقدـر أـنصـابـها وـالواـجـب وـاستـدلـ قوله تعالى في سورـة الأنـعامـ الآيةـ: **يَوْمَ حَصَادِهِ** [سورة الأنـعامـ، الآيةـ: ١٤١] ومـثل قوله تعالى [سورة العـارـجـ، الآيـتينـ: ٢٤ـ، وما يـحـبـ فيها وـبـيـانـ مـسـ والظـاهـرـ أنـ الجـمـاعـةـ كـذـرـ الدـعـوةـ للـجـمـاعـةـ فـرضـ في سـاـيـةـ، فـأـمـاـ الزـكـاةـ وـالـصـيـامـ فـقـدـ فـرـضـ في السـنـةـ الثـانـيـةـ منـ الـهـجـرـةـ، وـأـمـاـ الـحـجـ فـلـمـ يـفـرـضـ إـلـاـ فيـ السـنـةـ التـاسـعـةـ عـلـىـ القـوـلـ الرـاجـحـ مـنـ أـقوـالـ أـهـلـ الـعـلـمـ وـذـلـكـ حـيـنـ كـانـتـ مـكـةـ بـلـدـ إـسـلامـ بـعـدـ فـتـحـهـاـ فـيـ السـنـةـ الثـامـنـةـ مـنـ الـهـجـرـةـ، وـذـلـكـ الـأـمـرـ بـالـمـعـرـوفـ وـالـنـهـيـ عـنـ

أَخْذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ وَبَعْدَهَا تُؤْفَى صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامَهُ عَلَيْهِ^(١)

المنكر وغيرهما من الشعائر الظاهرة كلها فرضت في المدينة بعد استقرار النبي ﷺ فيها وإقامة الدولة الإسلامية فيها.

(١) أخذ أي النبي ﷺ عشر سنين بعد هجرته فلما أكمل الله به الدين وأتم به النعمة على المؤمنين اختاره الله لجواره واللحاق بالرفيق الأعلى من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، فابتداً به المرض صلوات الله وسلامه عليه في آخر شهر صفر وأول شهر ربيع الأول، فخرج إلى الناس عاصباً رأسه فصعد المنبر فتشهد وكان أول ما تكلم به بعد ذلك أن استغفر للشهداء، الذين قتلوا في أحد ثم قال : «إِنْ عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ خَيْرٌ اللَّهُ بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عَنْهُ فَاخْتارَ مَا عَنْدَ اللَّهِ» ففهمها أبو بكر رضي الله عنه فبكى وقال : بأبي وأمي نديك بآبائنا وأمهاتنا، وأبنائنا، وأنفسنا، وأموالنا فقال النبي ﷺ : «عَلَى رَسُولِكَ يَا أَبَا بَكْرًا» ثم قال : «إِنَّ أَمْنَ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صَحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُوبَكْرٌ وَلَوْ كُنْتُ مُتَخَذِّلًا خَلِيلًا غَيْرَ رَبِّي لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرًا وَلَكِنْ خَلَةُ الْإِسْلَامِ وَمُوْدَتُهِ»^(١) وأمر أبو بكر أن يصلّي بالناس ولما كان يوم الاثنين الثاني عشر أو الثالث عشر من شهر ربيع الأول من السنة الحادية عشرة من الهجرة اختاره الله لجواره فلما نزل به جعل يدخل يده في ماء عنده ويمسح وجهه ويقول : «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكْرَاتٍ» ثم شخص بصره نحو السماء وقال : «اللَّهُمَّ فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى»^(٢) فتوفي ذلك اليوم فاضطرب الناس لذلك وحق لهم أن يضطربوا ، حتى جاء أبو بكر رضي الله عنه فصعد المنبر فحمد الله

(١) أخرجه البخاري ، كتاب المساجد ، باب : الخوخة والمقر في المسجد .

(٢) أخرجه البخاري ، كتاب المغازي ، باب : مرض النبي ﷺ ووفاته .

وَدِينُهُ بَاقٌ . وَهَذَا دِينُهُ، لَا خَيْرٌ إِلَّا دَلَّ الْأُمَّةَ عَلَيْهِ، وَلَا شَرٌّ إِلَّا حَذَرَهَا مِنْهُ، وَالْخَيْرُ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ: التَّوْحِيدُ، وَجَمِيعُ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ . وَالشَّرُّ الَّذِي حَذَرَ مِنْهُ: الشَّرُكِ وَجَمِيعُ مَا يُكْرَهُهُ اللَّهُ وَيَايَاهُ . بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ كَافَةً^(١) ، وَأَفْتَرَضَ اللَّهُ طَاعَتَهُ عَلَى جَمِيعِ الظَّلَّمِينَ: الْجِنُّ وَالْإِنْسُونُ، وَالدَّلَّلِينُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ قُلْ يَتَأْتِيَهَا النَّاسُ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾^(٢) [سورة الأعراف، الآية: ١٥٨] .

وأنني عليه ثم قال: أما بعد فإن من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ثم قرأ: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَقْتُ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ أَنْقَلَبْتُمْ عَلَيَّ أَعْقَلَيْكُمْ ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٤٤]، ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَلَيَهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ [سورة الزمر، الآية: ٣٠] فاشتد بكاء الناس وعرفوا أنه قد مات فغسل صلوات الله وسلامه عليه في ثيابه تكريماً له، ثم كفن بثلاثة أنواع أي لفائف بيض سحرية ليس فيها قميص ولا عمامة، وصلى الناس عليه إرسالاً بدون إمام، ثم دفن ليلة الأربعاء بعد أن تمت مبادرة الخليفة من بعده فعليه من ربه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

(١) بعثه الله أي أرسله، إلى الناس كافة أي جمِيعاً .

(٢) في هذه الآية دليل على أن محمداً رسول الله ﷺ إلى الناس جمِيعاً وأن الذي أرسله له ملك السماوات والأرض، ومن بيده الإحياء والإماتة، وأنه سبحانه هو المُتوحد بالألوهية كما هو متوحد في الربوبية، ثم أمر سبحانه وتعالى في آخر الآية أن نؤمن بهذا الرسول النبي الأمي وأن نتبعه وأن ذلك سبب للهداية العلمية والعملية، هداية الإرشاد، وهداية

وَأَكْمَلَ اللَّهُ بِهِ الدِّينَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : « الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَّتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيَتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا »^(١) [سورة المائدة، الآية : ٥].

ال توفيق فهو عليه الصلاة والسلام رسول إلى جميع الثقلين وهم الإنس والجن وسموا بذلك لكثرة عددهم .

(١) أي أن دينه عليه الصلاة والسلام باق إلى يوم القيمة فما توفي رسول الله ﷺ إلا وقد بين للأمة جميع ما تحتاجه في جميع شؤونها حتى قال أبو ذر رضي الله عنه : « ما ترك النبي ﷺ طائراً يقلب جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علمًا »^(١) وقال رجل من المشركين لسلمان الفارسي رضي الله عنه علمكم نبيكم حتى الخراة - آداب قضاء الحاجة - قال : « نعم لقد نهانا أن نستقبل القبلة بغائط أو بول أو نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار ، أو أن نستنجي باليمين ، أو أن نستنجي برجيع أو عظم »^(٢) . فالنبي ﷺ بين كل الدين إما بقوله ، وإما بفعله ، وإما باقراره ابتداءً أو جواباً عن سؤال ، وأعظم ما بين عليه الصلاة والسلام التوحيد .

وكل ما أمر به فهو خير للأمة في معادها ومعاشرها ، وكل ما نهى عنه فهو شر للأمة في معاشرها ومعادها ، وما يجهله بعض الناس ويدعوه من ضيق في الأمر والنهي فإنما ذلك لخلل البصيرة وقلة الصبر وضعف الدين ، وإلا فإن القاعدة العامة أن الله لم يجعل علينا في الدين من حرج وأن الدين كله يسر وسهولة قال الله تعالى : « يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْأَعْسَرَ » [سورة البقرة، الآية: ١٨٥] ، وقال تعالى : « وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ

(١) أخرجه الإمام أحمد ١٦٣ / ٥

(٢) أخرجه مسلم ، كتاب الطهارة ، باب الاستطابة .

والدَّلِيلُ عَلَى مَوْتِهِ ﷺ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخَصَّصُونَ﴾^(١) [سورة الزمر، الآيتين: ٣٠، ٣١].
 والنَّاسُ إِذَا مَاتُوا يُبَعْثُونَ^(٢) ، والدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾^(٣) وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى^(٤) [سورة طه، الآية: ٥٥] ، وَقَوْلُهُ حَرَجٌ^(٥) [سورة الحج، الآية: ٧٨] ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مَنْ حَرَجٌ﴾ [سورة المائدة، الآية: ٦] فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى قَامِ نِعْمَتِهِ وَإِكْمَالِ دِينِهِ .

(١) ففي هذه الآية أن النبي ﷺ ومن أرسل إليهم ميتون وأنهم سيختصمون عند الله يوم القيمة فيحكم بينهم بالحق ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً.

(٢) بين رحمه الله تعالى في هذه الجملة أن الناس إذا ماتوا يبعثون، يبعثهم الله عز وجل أحياء بعد موتهم للجزاء، وهذا هو النتيجة من إرسال الرسل أن يعمل الإنسان لهذا اليوم يوم البعث والنشور، اليوم الذي ذكر الله سبحانه وتعالى من أحواله وأهواله ما يجعل القلب ينبع إلى الله عز وجل ويخشى هذا اليوم قال الله تعالى : ﴿فَكَيْفَ تَنْقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلَادَنَ شِيَّاً * الْسَّمَاءُ مُنَفَّطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُمْ مَقْعُولًا﴾ [سورة الزمر، الآيتين: ١٧، ١٨].

وفي هذه الجملة إشارة إلى الإيمان بالبعث واستدل الشيخ له بآيتين .

(٣) أي من الأرض خلقناكم حين خلق آدم عليه الصلاة والسلام من تراب .

(٤) أي بالدفن بعد الموت .

(٥) أي بالبعث يوم القيمة .

تعالى : ﴿ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا * إِنَّمَا يُعِدُّكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴾^(١) [سورة نوح، الآيتين : ١٧، ١٨].

وبعد البعث محاسبون ومجزيون بأعمالهم، والدليل قوله تعالى : ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوْا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحَسْنَى ﴾^(٢) [سورة النجم، الآية : ٣١] .

(١) هذه الآية موافقة تماماً لقوله تعالى : ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾ والآيات في هذا المعنى كثيرة جداً وقد أبدى الله عز وجل وأعاد في إثبات المعاد حتى يؤمن الناس بذلك ويزدادوا إيماناً ويعملوا لهذا اليوم العظيم الذي نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من العاملين له ومن السعداء فيه.

(٢) يعني أن الناس بعد البعث يجازون ويحاسبون على أعمالهم إن خيراً فخير وإن شرراً فشر قال الله تبارك وتعالى : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ [سورة الزمر، الآيتين : ٧، ٨] ، وقال تعالى : ﴿ وَنَصَّعُ الْمَوْزِنَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا نُظْلِمُ نَفْسًّ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرَدٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَسِيبِينَ ﴾ [سورة الأنبياء، الآية : ٤٧] ، وقال جلا وعلا : ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسْنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [سورة الأنعام، الآية : ١٦٠] .

فالحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائه ضعف إلى أضعاف كثيرة فضلاً من الله عز وجل وامتناً منه سبحانه وتعالى، فهو جل وعلا قد تفضل بالعمل الصالح، ثم تفضل مرة أخرى بالجزاء عليه هذا الجزء الواسع الكبير، أما

وَمَنْ كَذَّبَ بِالْبُعْثَرِ كَفَرَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ لَنْ يَعْثُوا قُلْ لَكُمْ وَرِبُّكُمْ لَتَبْعَثُنَّ ثُمَّ لِتُبَيَّنُونَ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾^(١) [سورة التغابن، الآية: ٧] ،

العمل السيء فإن السيئة بمثلها لا يجازي الإنسان بأكثر منها قال تعالى : ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١٦٠] وهذا من كمال فضل الله وإحسانه .

ثم استدل الشيخ لذلك بقوله تعالى : ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتُوْا بِمَا عَمِلُوا﴾ ولم يقل بالسواءي كما قال : ﴿وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ .

(١) من كذب بالبعث فهو كافر لقوله تعالى : ﴿وَقَالُوا إِنَّ هِيَ إِلَاحِيَانَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَعْوِيشَنَ * وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقْفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَّ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [سورة الأنعام، الآيات: ٣٠، ٢٩] ، وقال تعالى : ﴿وَإِلَّا يَوْمَدِ لِلْمُكَذِّبِينَ * الَّذِينَ يَكْذِبُونَ يَوْمَ الْدِينِ * وَمَا يَكْذِبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدِلٍ أَشِيمَ * إِذَا ثُلِّيَ عَلَيْهِ أَيْتَنَا قَالَ أَسْطِرُ الْأَوَّلِينَ * كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * كَلَّا لِئَنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَدِ لَمْحَجُوْبُونَ * ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِّمَ * ثُمَّ بَعْدَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ﴾ [سورة المطففين، الآيات: ١٠-١٧] ، وقال تعالى : ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدَنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ [سورة الفرقان، الآية: ١١] ، وقال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعِيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أَوْلَئِكَ يَسِّرُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأَوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة العنكبوت، الآية: ٢٣] واستدل الشيخ رحمة الله تعالى بقوله تعالى : ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية .

وأما إقناع هؤلاء المنكرين بما يأتي :

أولاً: أن أمر البعث تواتر به النقل عن الأنبياء والمرسلين في الكتب الإلهية، والشرع السماوي، وتلقته أعمهم بالقبول، فكيف تنكرونه وأنتم تصدقون بما ينقل إليكم عن فيلسوف أو صاحب مبدأ أو فكرة، وإن لم يبلغ ما يبلغه الخبر عن البعث لا في وسيلة النقل، ولا في شهادة الواقع؟ !!

ثانياً: أن أمر البعث قد شهد العقل بإمكانه، وذلك من وجوه :

١ - كل أحد لا ينكر أن يكون مخلوقاً بعد العدم، وأنه حادث بعد أن لم يكن، فالذي خلقه وأحدثه بعد أن لم يكن قادر على إعادته بالأولى، كما قال الله تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدُأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهُوَنُ عَلَيْهِ﴾ [سورة الروم، الآية: ٢٧] ، وقال تعالى : ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ تُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [سورة الأنبياء، الآية: ١٠٤] .

٢ - كل أحد لا ينكر عظمة خلق السموات والأرض لكبرهما وبديع صنعتهما، فالذي خلقهما قادر على خلق الناس وإعادتهم بالأولى؛ قال الله تعالى : ﴿لَهُ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ [سورة غافر، الآية: ٥٧] ، وقال تعالى : ﴿أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعِي بِخَلْقِهِنَّ يُقَدِّرِ عَلَيْنَ أَنْ يُحْكِمَ الْمَوْتَ بِلَيْلٍ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة الأحقاف، الآية: ٣٣] ، وقال تعالى : ﴿أَوْلَئِسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ يُقَدِّرِ عَلَيْنَ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَالقُ الْعَلِيمُ * إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [سورة يس، الآيتين: ٨١، ٨٢] .

٣ - كل ذي بصر يشاهد الأرض مجده ميته النبات، فإذا نزل المطر

عليها أخصبت وحيبي نباتها بعد الموت ، والقادر على إحياء الأرض بعض موتها قادر على إحياء الموتى وبعثهم ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَيْتَهُمْ أَنْكَرَ تَرَى الْأَرْضَ خَيْشَعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ أَهْرَتَ وَرَبَّتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا الْمُحْيِي الْمُوْمِنُ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [سورة فصلت ، الآية : ٣٩] .

ثالثاً : أن أمر البعث قد شهد الحسن والواقع بإمكانه فيما أخبرنا الله تعالى به من وقائع إحياء الموتى ، وقد ذكر الله تعالى من ذلك في سورة البقرة خمس حوادث منها ، قوله : ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَوْيَةٍ وَهِيَ حَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشَهَا قَالَ أَنَّ يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَّا تَهْدِي اللَّهُ مِائَةً عَامٍ ثُمَّ بَعْثَهُ قَالَ كَمْ لَيَشَأْ قَالَ لَيَشَأْ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَيَشَأْ مِائَةً عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهُ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلَا نَجْعَلَكَ ءَايَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِرُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا الْحَمَّا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [سورة البقرة ، الآية : ٢٥٩] .

رابعاً : أن الحكمة تقتضي البعث بعد الموت لتجازى كل نفس بما كسبت ، ولو لا ذلك لكان خلق الناس عبئاً لا قيمة له ، ولا حكمة منه ، ولم يكن بين الإنسان وبين البهائم فرق في هذه الحياة . قال الله تعالى : ﴿ أَفَحَسِبُتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَّادًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ * فَتَعْلَمَ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴾ [سورة المؤمنون ، الآيتين : ١٥٥ ، ١١٦] ، وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الْأَسْكَاعَةَ إِنَيْسَةً أَكَادُ أَخْفِيَهَا لِتُخْرَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ﴾ [سورة طه ، الآية : ١٥] ، وقال تعالى : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِإِلَهٍ جَهَدَ أَيْمَنِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمْوِثُ ﴾

وأَرْسَلَ اللَّهُ جَمِيعَ الرُّسُلَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى :
﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لَئِلَّا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ (١)
[سورة النساء، الآية: ١٦٥] ،

بَلَى وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي
يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَاذِبُونَ * إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا
أَرَدْنَا أَن نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿سورة التحل، الآيات: ٤٠-٣٨﴾ ، وقال تعالى :
**﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ لَنْ يَعْثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَعْشَنَ مِمَّ لَنْبَوْنَ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ
يَسِيرٌ﴾** [سورة التغابن، الآية: ٧].

فإذا بینت هذه البراهین لنکری البعث وأصرروا على إنکارهم، فهم
مکابریون معاندون، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

(١) بين المؤلف رحمه الله تعالى أن الله أرسل جميع الرسل مبشرین ومنذرین
كما قال تعالى : **﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾** يبشرون من أطاعهم بالجنة
ويذرون من خالفهم بالنار.

وإرسال الرسل له حكم عظيمة من أهمها بل هو أهمها أن تقوم الحجة
على الناس حتى لا يكون لهم على الله حجة بعد إرسال الرسل كما قال
تعالى : **﴿لَئِلَّا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾**.

ومنها أنه من تمام نعمة الله على عباده فإن العقل البشري مهما كان لا
يمكنه أن يدرك تفاصيل ما يجب لله تعالى من الحقوق الخاصة به، ولا يمكنه
أن يطلع على ما الله تعالى من الصفات الكاملة، ولا يمكن أن يطلع على ما له
من الأسماء الحسنى ولهذا أرسل الله الرسل عليهم الصلاة والسلام

وَأَوْلُهُمْ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ؛ وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ
أَوْلُهُمْ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَوْلُهُ تَعَالَى : « إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا
إِلَيْنَا نُوحًا وَالنَّبِيَّنَ مِنْ بَعْدِهِ »^(١) [سورة النساء، الآية: ١٦٣].

مبشرين ومنذرين، وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه.

وأعظم ما دعا إليه الرسل من أولهم نوح عليه الصلاة والسلام إلى آخرهم محمد ﷺ التوحيد كما قال تعالى : « وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا
أَنِّي أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنَبُوا الْطَّاغُوتَ » [سورة النحل، الآية: ٢٦]، وقال عز وجل : « وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحَى إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا
فَاعْبُدُونِ » [سورة الأنبياء، الآية: ٢٥].

(١) بين شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله أن أول الرسل نوح عليه الصلاة والسلام واستدل لذلك بقوله تعالى : « إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ
كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْنَا نُوحًا وَالنَّبِيَّنَ مِنْ بَعْدِهِ » [سورة النساء، الآية: ١٦٣] ثبت في ا
لصحيح من حديث الشفاعة : « إِنَّ النَّاسَ يَأْتُونَ إِلَيْنَا نُوحًا فَيَقُولُونَ لَهُ أَنْتَ
أُولَرُسُولٍ أَرْسَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ أَهْلَ الْأَرْضِ »^(١) فلا رسول قبل نوح وبهذا نعلم
خطأ المؤرخين الذين قالوا إن إدريس عليه الصلاة والسلام قبل نوح بل
الذي يظهر أن إدريس من أنبياءبني إسرائيل.

وآخر الأنبياء وخاتمهم محمد ﷺ لقوله تعالى : « مَا كَانَ مُحَمَّدًا أَبَا أَحَدٍ مِنْ

(١) رواه البخاري ، كتاب التوحيد ، باب : كلام الله مع الأنبياء ، يوم القيمة . ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب : أدنى أهل الجنة متزلة .

وَكُلُّ أُمَّةٍ بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهَا رَسُولًا^(١) مِنْ نُوْحٍ إِلَى مُحَمَّدٍ؛ يَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَيَنْهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الظَّاغُوتِ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : «وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِّي أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنَبْنَا الظَّاغُوتَ»^(٢) [سورة النحل، الآية: ٣٦].

وافتراض الله على جميع العباد الكفر بالطاغوت والإيمان بالله. قال ابن القاسم - رحمة الله تعالى - الطاغوت : ما تجاوز به العبد حدة من معبود أو متبع ، أو مطاع^(٣) ؛

رِجَالِكُمْ وَلَكُنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ الرَّبِيعَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيهِمَا» [سورة الأحزاب، الآية: ٤٠] فلا نبي بعده ومن ادعى النبوة بعده فهو كاذب كافر مرتد عن الإسلام .

(١) أي أن الله بعث في كل أمة رسولاً يدعوهـم إلى عبادة الله وحدهـ وينهاـهم عن الشرك ودلـيل ذلك قول الله تعالى : «وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا هُنَّ لِفِيهَا نَذِيرٌ» [سورة فاطر، الآية: ٢٤] ، وقال : «وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِّي أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنَبْنَا الظَّاغُوتَ» .

(٢) هذا هو معنى لا إله إلا الله .

(٣) أرادـشيخ الإسلام رحـمه اللهـ بهذاـ أنـ التـوحـيدـ لاـ يتمـ إلاـ بـعـبـادـةـ اللهـ وـحدـهـ لاـ شـريكـ لهـ وـاجـتنـابـ الطـاغـوتـ .

وقد فرض الله ذلك على عبادهـ والـطـاغـوتـ مشـتقـ منـ الطـغـيـانـ ،ـ وـالـطـغـيـانـ مـجاـوزـةـ الـحـدـ وـمـنـهـ قولـهـ تعـالـى : «إِنَّا مَا طَغَى الْمَاءُ حَمَنَنَّكُمْ فِي الْجَارِيَةِ» [سورة الحـاقـةـ الآية: ١١] يعنيـ لماـ زـادـ المـاءـ عنـ الـحـدـ المـعـتـادـ حـمـنـاكـمـ فـيـ الـجـارـيـةـ يعنيـ السـفـينةـ .

.....

واصطلاحاً أحسن ما قيل في تعريفه ما ذكره ابن القيم - رحمه الله - أنه أي الطاغوت - : «كل ما تجاوز به العبد حده من معبد، أو متبوع، أو مطاع». ومراده بالمعبد والمتبوع والمطاع غير الصالحين، أما الصالحون فليسوا طواغيت وإن عبدوا - أو اتبعوا - أو أطاعوا فالآصنام التي تعبد من دون الله طواغيت، وعلماء السوء الذين يدعون إلى الضلال والكفر، أو يدعون إلى البدع، أو إلى تحليل ما حرم الله، أو تحريم ما أحل الله طواغيت، والذين يزينون لولاة الأمر الخروج عن شريعة الإسلام بنظم يستور دونها مخالفة لنظام الدين الإسلامي طواغيت، لأن هؤلاء تجاوزوا حدتهم، فإن حد العالم أن يكون متبوعاً لما جاء به النبي ﷺ لأن العلماء حقيقة ورثة الأنبياء، يرثونهم في أمتهم علماء، وعملاً، وأخلاقاً، ودعوة وتعليمًا، فإذا تجاوزوا هذا الحد وصاروا يزينون للحكام الخروج عن شريعة الإسلام بمثل هذه النظم فهم طواغيت؛ لأنهم تجاوزوا ما كان يجب عليهم أن يكونوا عليه من متابعة الشريعة .

وأما قوله - رحمه الله - «أو مطاع» فيريد به الأمراء الذين يطاعون شرعاً أو قدراً، فالأمراء يطاعون شرعاً إذا أمروا بما لا يخالف أمر الله ورسوله وفي هذه الحال لا يصدق عليهم أنهم طواغيت، والواجب لهم على الرعية السمع والطاعة، وطاعتهم لولاة الأمر في هذا الحال بهذا القيد طاعة الله - عز وجل - ولهذا ينبغي أن نلاحظ حين ننفذ ما أمر به ولي الأمر مما تجب طاعته فيه أننا في ذلك نعبد الله تعالى ونتقرب إليه بطاعته، حتى يكون تنفيذنا لهذا الأمر قربة إلى الله عز وجل وإنما ينبغي لنا أن نلاحظ ذلك لأن

.....

الله تعالى يقول : « يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكُمْ أَنْتُمْ مُنْكَرٌ » [سورة النساء، الآية: ٥٩].

وأما طاعة الأمراء قدرًا فإن الأمراء إذا كانوا أقوىاء في سلطتهم فإن الناس يطعونهم بقوة السلطان وإن لم يكن بوالز الإيمان ، لأن طاعة ولـي الأمر تكون بوالز الإيمان وهذه هي الطاعة النافعة ، النافعة لولـة الأمر ، والنافعة للناس أيضـاً ، وقد تكون الطاعة بوالز السلطـان بحيث يكون قويـاً يخـشى الناس منه ويـهابونـه لأنـه يـنـكـلـ بـمـنـ خـالـفـ أمرـهـ .

ولهذا نقول إن الناس مع حـكامـهمـ فيـ هـذـهـ المسـأـلةـ لهمـ أحـوالـ الحال الأولى : أن يـقـوىـ الـواـزـعـ الإـيمـانـيـ والـراـدـعـ السـلـطـانـيـ وهذاـ أـكـمـلـ الأـحـوالـ وأـعـلاـهاـ .

الحال الثانية : أن يـضـعـفـ الـواـزـعـ الإـيمـانـيـ والـراـدـعـ السـلـطـانـيـ وهذاـ أـدـنىـ الأـحـوالـ وأـخـطـرـهاـ عـلـىـ الـجـمـعـ ، عـلـىـ حـكـامـهـ وـمـحـكـومـيهـ ؛ لأنـهـ إـذـاـ ضـعـفـ الـواـزـعـ الإـيمـانـيـ والـراـدـعـ السـلـطـانـيـ حـصـلـتـ الـفـوـضـىـ الـفـكـرـيـةـ وـالـخـلـقـيـةـ ، وـالـعـمـلـيـةـ .

الحال الثالثة : أن يـضـعـفـ الـواـزـعـ الإـيمـانـيـ وـيـقـوىـ الـراـدـعـ السـلـطـانـيـ وهذهـ مرـتـبةـ وـسـطـىـ لأنـهـ إـذـاـ قـوـيـ الـراـدـعـ السـلـطـانـيـ صـارـ أـصـلـحـ لـلـأـمـةـ فيـ المـظـهـرـ إـذـاـ اـخـتـفـتـ قـوـةـ السـلـطـانـ فـلـاـ تـسـأـلـ عـنـ حـالـ الـأـمـةـ وـسـوءـ عـمـلـهـاـ .

الحال الرابعة : أن يـقـوىـ الـواـزـعـ الإـيمـانـيـ وـيـضـعـفـ الـراـدـعـ السـلـطـانـيـ فيـكونـ المـظـهـرـ أـدـنىـ مـنـهـ فيـ الـحـالـ الثـالـثـةـ لـكـنـهـ فـيـماـ بـيـنـ الـإـنـسـانـ وـرـبـهـ أـكـمـلـ وـأـعـلـىـ .

وَالْطَّوَاغِيْتُ^(١) كَثِيرٌ وَرُؤُسُهُمْ^(٢) خَمْسَةٌ: إِبْلِيسُ^(٣) لَعْنَهُ اللَّهُ، وَمَنْ عَبَدَ وَهُوَ رَاضٍ^(٤)، وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ^(٥)، وَمَنْ ادَّعَى شَيْئًا مِنْ عِلْمَ الْغَيْبِ^(٦);

(١) جمع طاغوت وسبق تفسيره .

(٢) أي زعمائهم ومقلدوهم خمسة .

(٣) إبليس هو الشيطان الرجيم اللعين الذي قال الله له : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴾ [سورة ص ، الآية : ٧٨] وكان إبليس مع الملائكة في صحبتهم يعمل بعملهم ، ولما أمر بالسجود لأدم ظهر ما فيه من الخبر والإباء والإستكبار فأبى واستكبر وكان من الكافرين فطرد من رحمة الله عز وجل قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةَ أَسْجُدُوا لِأَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَأَسْتَكَبَ وَكَانَ مِنَ الْكَفَرِينَ ﴾ [سورة البقرة ، الآية : ٣٤] .

(٤) أي عبد من دون الله وهو راض أن يعبد من دون الله فإنه من رؤوس الطواغيت - والعياذ بالله - وسواء عبد في حياته أو بعد مماته إذا مات وهو راض بذلك .

(٥) أي من دعا الناس إلى عبادة نفسه وإن لم يعبدوه فإنه من رؤوس الطواغيت سواءً أجب لما دعا إليه أم لم يحيط .

(٦) الغيب ماغاب عن الإنسان وهو نوعان :

واقع ، ومستقبل ، غيب الواقع نسبي يكون لشخص معلوماً والآخر مجهولاً ، وغيب المستقبل حقيقي لا يكون معلوماً لأحد إلا الله وحده أو

وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ^(١)

من أطلاعه عليه من الرسل فمن ادعى علمه فهو كافر لأنه مكذب لله عز وجل ولرسوله ، قال الله تعالى : « قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبَعَّثُونَ » [سورة النمل ، الآية : ٦٥] ، وإذا كان الله عز وجل يأمر نبيه محمدًا ﷺ ، أن يعلن للملا أن لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله ، فإن من ادعى علم الغيب فقد كذب الله عز وجل ورسوله في هذا الخبر .

ونقول لهؤلاء كيف يمكن أن تعلموا الغيب والنبي ﷺ لا يعلم الغيب؟ ! هل أنتم أشرف أم الرسول ﷺ ؟ ! فإن قالوا نحن أشرف من الرسول . كفروا بهذا القول ، وإن قالوا هو أشرف فنقول لماذا يحجب عنه الغيب وأنتم تعلمونه ؟ ! وقد قال الله عز وجل عن نفسه : « عَلِمَ الْغَيْبَ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ أَرْتَقَنِي مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصِدًا » [سورة الجن ، الآيتين : ٢٦ ، ٢٧] ، وهذه آية ثانية تدل على كفر من ادعى علم الغيب ، وقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يعلن للملا بقوله : « قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَرَائِنَ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنِّي أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ » [سورة الأنعام ، الآية : ٥٠] .

(١) الحكم بما أنزل الله تعالى من توحيد الربوبية ، لأنه تنفيذ لحكم الله الذي هو مقتضى ربوبيته ، وكمال ملكه وتصرفه ، ولهذا سمي الله تعالى المتبوعين في غير ما أنزل الله تعالى أرباباً لمتبعهم فقال سبحانه : « أَنْخَذُوا أَخْبَارَهُمْ وَرُهِبَنَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ أَبْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمْرُوا إِلَّا

.....

لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشَرِّكُونَ

[سورة التوبة، الآية: ٣١]، فسمى الله تعالى المتبوعين أرباباً حيث جعلوا مشرعين مع الله تعالى، وسمى المتبعين عباداً حيث إنهم ذلوا لهم وأطاعوهم في مخالفة حكم الله سبحانه وتعالى.

وقد قال عدي بن حاتم لرسول الله ﷺ: إنهم لم يعبدوهم فقال النبي ﷺ: «بل إنهم حرموا عليهم الحلال، وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم فتلك عبادتهم إياهم». ^(١)

إذا فهمت ذلك فاعلم أن من لم يحكم بما أنزل الله، وأراد أن يكون التحاكم إلى غير الله ورسوله وردت فيه آيات بنفي الإيمان عنه، وأيات بکفره وظلمه، وفسقه.

فأما القسم الأول:

فمثل قوله تعالى: **﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَرْعَمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَكَّمُوا إِلَى الظَّلْغَوْتِ وَقَدْ أَصْرَرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ، وَيَرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضْلِلَهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَفَّقِينَ يَصْدُرُونَ عَنْكَ صُدُورًا * فَكَيْفَ إِذَا أَصْبَبْتَهُمْ مُّصِيبَةً إِمَّا قَدَّمْتَ أَيْدِيهِمْ شَمَاءً وَكَيْحَلَفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَنَاهُ وَتَوَفِيقًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُوُبَاهُمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظَّهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِتْ أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيْغاً * وَمَا أَرْسَلْنَا**

(١) رواه الترمذى وحسنه، كتاب التفسير، سورة التوبه، ٥/٢٦٢.

.....

مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَكَّعْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءَهُمْ كَمَا فَعَلُوكُمْ وَلَا يَتَبَرَّأُونَ إِلَّا مَنْ كَانَ مُنْكَرًا فَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَسْتَغْفِرُ لَهُمُ الرَّسُولَ لَوْجَدُوا اللَّهَ تَوَابًا رَّحِيمًا * فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا فَضَيَّتْ وَيُسَلِّمُوا سَلِيمًا» [سورة النساء، الآيات : ٦٥-٦٠].

فوصف الله تعالى هؤلاء المدعين للإيمان وهم منافقون بصفات :

الأولى: أنهم يريدون أن يكون التحاكم إلى الطاغوت ، وهو كل ما خالف حكم الله تعالى ورسوله ﷺ ، لأن ما خالف حكم الله ورسوله فهو طغيان وإعتداء على حكم من له الحكم وإليه يرجع الأمر كله وهو الله ، قال الله تعالى : «أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَالْأَمْرُ بَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ» [سورة الأعراف ، الآية : ٢٥].

الثانية: أنهم إذا دُعوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول صدّوا وأعرضوا .

الثالثة: أنهم إذا أصيروا بمصيبة بما قدمت أيديهم - ومنها أن يعشر على صنيعهم - جاءوا يحلفون أنهم ما أرادوا إلا الإحسان والتوفيق كحال من يرفض اليوم أحکام الإسلام ويحكم بالقوانين المخالفة لها زعمًا منه أن ذلك هو الإحسان الموافق لأحوال العصر .

ثم حذر - سبحانه - هؤلاء المدعين للإيمان المتصفين بتلك الصفات بأنه - سبحانه - يعلم ما في قلوبهم وما يكونونه من أمور تخالف ما يقولون ، وأمر نبيه أن يعظهم ويقول لهم في أنفسهم قولًا بلبيغاً ، ثم بين أن الحكمة من إرسال الرسول أن يكون هو المطاع المتبع لا غيره من الناس مهما قويت أفكارهم واتسعت مداركهم ، ثم أقسم تعالى بربوبيته لرسوله التي

.....

هي أخص أنواع الربوبية والتي تتضمن الإشارة إلى صحة رسالته ﷺ، أقسم بها قسماً مؤكداً أنه لا يصح الإيمان إلا بثلاثة أمور:

الأول: أن يكون التحاكم في كل نزاع إلى رسول الله ﷺ.

الثاني: أن تنشرح الصدور بحكمه، ولا يكون في النفوس حرج وضيق منه.

الثالث: أن يحصل التسلیم بقبول ما حکم به وتنفيذـه بدون توـان أو انحراف.

وأما القسم الثاني:

فمثـل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [سورة المائدة، الآية: ٣٣]، قوله: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [سورة المائدة، الآية: ٤٥]، قوله: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَسِقُونَ﴾ [سورة المائدة، الآية: ٤٧]، وهـل هذه الأوصاف الثلاثة تتنـزل على موصوف واحد؟ بـمعنىـ أنـ كلـ منـ لمـ يـ حـكـمـ بـمـاـ أـنـزـلـ اللـهـ فهوـ كـافـرـ ظـالـمـ فـاسـقـ، لأنـ اللـهـ تـعـالـىـ وـصـفـ الـكـافـرـينـ بـالـظـلـمـ وـالـفـسـقـ فـقالـ تعالىـ: ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٥٤]، وقالـ تعالىـ: ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَا أُوتُوا وَهُمْ فَسِقُونَ﴾ [سورة التوبـةـ، الآيةـ: ٨٤ـ]. فـكـلـ كـافـرـ ظـالـمـ فـاسـقـ، أوـ هـذـهـ الأـوـصـافـ تـتـنـزـلـ عـلـىـ مـوـصـوفـينـ بـحـسـبـ الـحـامـلـ لـهـمـ عـلـىـ عـدـمـ الـحـكـمـ بـمـاـ أـنـزـلـ اللـهـ؟ـ هـذـاـ هـوـ الـأـقـرـبـ عـنـديـ وـالـلـهـ أـعـلـمـ.

فنقول : من لم يحكم بما أنزل الله استخفافاً به ، أو احتقاراً ، أو اعتقاداً أن غيره أصلح منه ، وأنفع للخلق أو مثله فهو كافر كفراً مخرجًا عن الملة ، ومن هؤلاء من يضعون للناس تشرعيات تخالف التشريعات الإسلامية لتكون منهاجاً يسير الناس عليه ، فإنهم لم يضعوا تلك التشريعات المخالفة للشريعة الإسلامية إلا وهم يعتقدون أنها أصلح وأنفع للخلق ، إذ من المعلوم بالضرورة العقلية ، والجبلة الفطرية أن الإنسان لا يعدل عن منهاج إلى منهاج يخالفه إلا وهو يعتقد فضل ما عدل إليه ونقص ما عدل عنه .

ومن لم يحكم بما أنزل الله وهو لم يستخف به ، ولم يحتقره ، ولم يعتقد أن غيره أصلح منه لنفسه أو نحو ذلك ، فهذا ظالم وليس بكافر وتختلف مراتب ظلمه بحسب المحكوم به ووسائل الحكم .

ومن لم يحكم بما أنزل الله لا استخفافاً بحكم الله ، ولا احتقاراً ، ولا اعتقاداً أن غيره أصلح ، وأنفع للخلق أو مثله ، وإنما حكم بغيره محاباة للمحكوم له ، أو مراعاة لرشوة أو غيرها من عرض الدنيا فهذا فاسق ، وليس بكافر وتختلف مراتب فسقه بحسب المحكوم به ووسائل الحكم .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - فيمن اخذوا أحبارهم ورهبائهم أرباباً من دون الله أنهم على وجهين :

أحدهما : أن يعلموا أنهم بدلوا دين الله فيتبعونهم على التبديل ويعتقدون تحليل ما حرم ، وتحريم ما أحل الله اتباعاً لرؤسائهم مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسل فهذا كفر ، وقد جعله الله ورسوله شركاً .

وَالدَّلِيلُ^(١) قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ^(٢) قَدْ بَيَّنَ الرُّشُدُ مِنَ الْغَيِّ

الثاني: أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحليل الحرام وتحريم الحلال - كذا العبارة المنقوله عنه - ثابتاً لكنهم أطاعوهم في معصية الله كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاصي فهولاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنب.

وهناك فرق بين المسائل التي تعتبر شريعاً عاماً والمسألة المعينة التي يحكم فيها القاضي بغير ما أنزل الله لأن المسائل التي تعتبر شريعاً عاماً لا يتأنى فيها التقسيم السابق، وإنما هي من القسم الأول فقط لأن هذا المشرع شريعاً يخالف الإسلام إنما شرعه لاعتقاده أنه أصلح من الإسلام وأنفع للعباد كما سبقت الإشارة إليه.

وهذه المسألة أعني مسألة الحكم بغير ما أنزل الله من المسائل الكبرى التي ابتدى بها حكام هذا الزمان فعلى المرء أن لا يتسع في الحكم عليهم بما لا يستحقونه حتى يتبيّن له الحق لأن المسألة خطيرة - نسأل الله تعالى أن يصلح للمسلمين ولاة أمورهم وبطانتهم - كما أن على المرء الذي آتاه الله العلم أن يبيّنه لهؤلاء الحكام لتقوم الحجة عليهم وتتبّين المحجة فيهلك من هلك عن بيّنة ويحيي من حيّ عن بيّنة، ولا يمحرون نفسمه عن بيّنه ولا يهابن أحداً فيه فإن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين .

.(١) أي على وجوب الحكم بما أنزل الله والكفر بالطاغوت .

(٢) لا إكراه على الدين لظهور أداته وبيانها ووضوحها ولهذا قال بعده: **﴿ قَدْ بَيَّنَ الرُّشُدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾** فإذا تبيّن الرشد من الغي فإن كل نفس سليمة

فَمَن يَكُفِرُ بِالظَّغْوَةِ وَيُؤْمِنُ بِإِلَهٍ (١) فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ
الْوُثْقَى (٢) [سورة البقرة، الآية: ٢٥٦] وَهَذَا مَعْنَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.

وِفِي الْحَدِيثِ * : «رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ (٣) وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ (٤) وَذُرُوْةُ
سَنَامِهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» (٥) ،

لابد أن تختار الرشد على الغي.

(١) بدأ الله عز وجل بالكفر بالطاغوت قبل الإيمان بالله؛ لأن من كمال الشيء إزالة الموانع قبل وجود الثوابt ولهذا يقال التخلية قبل التحلية.

(٢) أي تمسك بها تمسكاً تاماً والعروة الوثقى هي الإسلام وتأمل كيف قال عز وجل: «فَقَدِ اسْتَمْسَكَ»، ولم يقل: (تمسك) لأن الاستمساك أقوى من التمسك فإن الإنسان قد يتمسك ولا يستمسك.

(٣) أراد المؤلف رحمه الله تعالى الإستدلال بهذا الحديث على أن لكل شيء رأساً، فرأس الأمر الذي جاء به محمد ﷺ الإسلام.

(٤) لأنه لا يقوم إلا بها ولهذا كان القول الراجح كفر تارك الصلاة وأنه ليس له الإسلام.

(٥) أي أعلى وأكمله الجهاد في سبيل الله، وذلك لأن الإنسان إذا أصلح نفسه حاول إصلاح غيره بالجهاد في سبيل الله ليقوم الإسلام ولتكون كلمة الله هي العليا، فمن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله وصار ذروة السنام لأن به علو الإسلام على غيره.

وَاللَّهُ أَعْلَمُ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ^(١).

(١) ختم شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى رسالته
هذه برد العلم إلى الله عز وجل والصلة والسلام على
نبيه محمد ﷺ وبهذا انتهت الأصول الثلاثة وما يتعلّق
بها فنسأل الله تعالى أن يثبّت مؤلفها أحسن ثواب ،
 وأن يجعل لنا نصيباً من أجراها وثوابها ،
 وأن يجمعنا وإياه في دار كرامته ،
إنه جواد كريم ، والحمد لله
رب العالمين ، وصلى الله وسلم على
نبينا
محمد

*

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٥	○ مقدمة الشارح
٩	○ ترجمة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب
١٢	○ ترجمة فضيلة الشيخ محمد بن عثيمين
١٧	○ شرح البسملة
١٨	○ العلم ومراتب الإدراك
١٩	○ الفرق بين الرحمة والمغفرة
١٩	○ المسائل الأربع
١٩	* المسألة الأولى : العلم وهو: معرفة العبد ربّه ونبيه ودينه
٢٢	* المسألة الثانية : العمل به
٢٢	* المسألة الثالثة : الدعوة إليه
٢٤	* المسألة الرابعة: الصبر على الأذى فيه
٢٥	○ أقسام الصبر
٢٥	○ تفسير سورة العصر
٢٧	○ معنى قول الإمام الشافعي لو ما أنزل الله
٢٩	○ المسائل الثلاث التي يجب على كل مسلم ومسلمة تعلمها.
٢٩	* المسألة الأولى : أن الله خلقنا
٣٠	ورزقنا
٣١	ولم يتركنا هملاً
٣١	بل أرسل لنا رسولاً
٣٣	* المسألة الثانية : إن الله لا يرضي أن يشرك معه أحد في عبادته
٣٣	* المسألة الثالثة : إن من أطاع الرسول ووحد الله لا يجوز له موالة من
٣٥	حاد الله ورسوله
٣٧	○ معنى الحنفية

الصفحة	الموضوع
٣٩	○ أعظم ما أمر الله به التوحيد
٤١	○ أعظم ما نهى الله عنه الشرك
٤٢	○ الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها
٤٣	○ الأصل الأول: معرفة العبد ربه
٤٥	* معنى الرب والدليل على ذلك
٤٧	* آيات الله
٥١	* الرب هو المعبد ودليل ذلك وتفسيره
٥٣	* أنواع العبادة على وجه الإجمال
٥٥	• النوع الأول : الدعاء وأنواعه
٥٦	• النوع الثاني : الخوف وهو ثلاثة أنواع
٥٧	• النوع الثالث : الرجاء
٥٨	• النوع الرابع : التوكل وهو أربعة أنواع
٥٩	• النوع الخامس : الرغبة
٥٩	• النوع السادس : الرهبة
٥٩	• النوع السابع : الخشوع
٦٠	• النوع الثامن : الخشية وهي خمسة أنواع
٦١	• النوع التاسع : الإنابة
٦٢	• النوع العاشر : الاستغاثة وهي ثلاثة أنواع
٦٣	• النوع الحادي عشر: الاستعاذه وهي أربعة أنواع
٦٥	• النوع الثاني عشر : الاستغاثة وهي أربعة أنواع
٦٦	• النوع الثالث عشر : الذبح وهو ثلاثة أنواع
٦٧	• النوع الرابع عشر : النذر
٦٨	○ الأصل الثاني: معرفة العبد دينه
٦٨	* تعريف الإسلام

الموضع	الصفحة
* مراتب الدين	٧٩
• المرتبة الأولى: الإسلام	٧٩
- معنى شهادة أن لا إله إلا الله	٧١
- معنى شهادة أن محمد رسول الله ﷺ	٧٥
- دليل الصلاة والزكاة وتفسير التوحيد	٧٦
- دليل الصيام والحج	٧٧
• المرتبة الثانية: الإيمان	٧٩
- فائدة في الجمع بين كون الإيمان بضع وسبعين شعبة وأركانه ستة..	٧٩
□ الركن الأول: الإيمان بالله ويتضمن أربعة أمور:	٨٠
الأول : الإيمان بوجود الله	٨٠
الثاني : الإيمان بربوبيته	٨٤
الثالث: الإيمان بألوهيته	٨٥
الرابع: الإيمان بأسمائه وصفاته	٨٧
ثمرات الإيمان بالله	٩٠
□ الركن الثاني: الإيمان بالملائكة ويتضمن أربعة أمور:	٩٠
الأول : الإيمان بوجودهم	٩٠
الثاني: الإيمان بمن علمنا اسمه منهم	٩١
الثالث: الإيمان بما علمنا من صفاتهم	٩١
الرابع: الإيمان بما علمنا من أعمالهم	٩١
ثمرات الإيمان بالملائكة	٩٢
الرد على من أنكر كون الملائكة أجساماً	٩٣
□ الركن الثالث: الإيمان بالكتب ويتضمن أربعة أمور:	٩٤
الأول : الإيمان بأن نزولها من عند الله	٩٤

الصفحة	الموضوع
٩٤	الثاني: الإيمان بما علمنا اسمه منها
٩٤	الثالث: تصديق ما صح من أخبارها
٩٤	الرابع: العمل بأحكام ما لم ينسخ منها
٩٥	ثمرات الإيمان بالكتب
□ الركن الرابع: الإيمان بالرسل ويتضمن أربعة أمور	
٩٥	المراد بالرسول
٩٧	الأول : الإيمان بأن رسالتهم حق من الله
٩٨	الثاني: الإيمان بمن علمنا اسمه منهم باسمه
٩٨	الثالث: تصدق ما صح عنهم من أخبارهم
٩٨	الرابع: العمل بشريعة من أرسل إلينا
٩٩	ثمرات الإيمان بالرسل
□ الركن الخامس: الإيمان باليوم الآخر ويتضمن ثلاثة أمور:	
١٠٠	الأول : الإيمان بالبعث ودليل ذلك
١٠١	الثاني: الإيمان بالحساب والجزاء ودليل ذلك
١٠٢	الثالث: الإيمان بالجنة والنار
١٠٥	ثمرات الإيمان باليوم الآخر
١٠٨	الرد على من أنكر البعث بالشرع والحس والعقل
□ الركن السادس: الإيمان بالقدر خيره وشره ويتضمن أربعة أمور:	
١١١	الأول : العلم
١١١	الثاني: الكتابة
١١١	الثالث: المشيئة
١١٢	الرابع: الخلق
١١٢	هل للعبد قدرة ومشيئة في أفعاله الاختيارية

الصفحة	الموضوع
	الرد على من احتج بالقدر في ترك الواجب أو فعل المعصية من
١١٣	وجوه سبعة
١١٥	ثمرات الإيمان بالقدر
١١٦	ضل في القدر طائفتان والرد عليهما
١١٨	• المرتبة الثالثة: الإحسان وتعريفه
١١٨	الإحسان في عبادة الله والإحسان إلى عباد الله
١٢٠	* العبادة مبنية على غاية الحب وغاية الذل
١٢٠	* فائدة نفيسة متى يكون إظهار العبادة أفضل
١٢٢	○ الأصل الثالث: معرفة العبد نبيه
١٢٢	* حياة النبي صلى الله عليه وسلم
١٢٤	* المراج
١٢٧	* هجرة النبي صلى الله عليه وسلم
١٢٩	* تعريف الهجرة وحكمها ودليله
١٣١	* تتمة في حكم السفر إلى بلاد الكفر والإقامة فيها
١٤٠	* وفاة النبي صلى الله عليه وسلم
١٤٣	* الإيمان بالبعث ودليله
١٤٤	* الإيمان بالحساب ودليله
١٤٥	* حكم التكذيب بالبعث
١٤٨	* الحكمة من إرسال الرسل
١٤٩	* أول الرسل وأخرهم
١٥٠	* دعوة جميع الرسل إلى عبادة الله والنهي عن الشرك
١٥٠	* الكفر بالطاغوت
١٥١	* أحسن تعريف للطاغوت
١٥٢	* أحوال الناس مع حكامهم

الصفحة	الموضوع
١٥٣	* رؤوس الطواغيت
١٥٣	● الأول : إبليس
١٥٣	● الثاني : من عبد وهو راضٍ
١٥٣	● الثالث : من دعا الناس إلى عبادة نفسه
١٥٣	● الرابع : من ادعى شيئاً من علم الغيب
١٥٤	● الخامس: من حكم بغير ما أنزل الله
١٦١	○ الخاتمة برد العلم إلى الله تعالى والصلوة والسلام على نبيه ومصطفاه

تم الفهرس والحمد لله رب العالمين
